الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم الفلسفة

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل: 1333061844

105072640

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص : فلسفة القيم

بعنوان:

مفهوم التقدم في فكر "جان جاك روسو"

إعداد الطالبتين:

بعبوش هجيرة

فايد زهرة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة

- د. رياض خوضر.....رئيساً
- د. لخضر حميدي .....مشرفاً
- د. بازة الحاج.....مناقشاً

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكروعرفان :

قال تعالى ((لئن شكرتم لأزيدنكم))

ابراهيم / الآية "7"

أحمد الله حمدا طيبا مباركا فيه على ما يسره لي من اتمام هذا البحث ..فله الحمد على تمام وكمال نعمته ...

وأتقدم بالشكر الخالص ..إلى أستاذنا المشرف الدكتور لخضر حميدي على المجهودات والمعلومات القيمة والارشادات والنصائح التي قدمها لنا طيلة أيام إنجاز هذا البحث ، فكان نعم المشرف فأعلى الله درجته ووفقه في دينه ودنياه..كما نتقدم بالشكر الى كل الاساتذة الكرام الذين صاحبونا بالعلم والتوجيه والارشاد طيلة مشوارنا الدراسي ، إلى كل من ساعدنا قريبا وبعيدا، طاقم مكتبة بيروت على المساعدة والتفاني في العمل .

دمتم للعلم رافعين وللحق ناصرين وللخير فاعلين، دمتم عونا وفخرا لنا ...

مقدمة

عرف الفكر الانساني بصفة عامة والفكر الفلسفي بصفة خاصة ، جملة من التطورات ومجموعة من الافكار، واكتسب في المقابل جملة من المفاهيم الجديدة ولقد كان للإنسان نصيب كبير من الازدهار والاهتمام منذ القديم وصولاً إلى العصر الحديث أو ما يعرف بعصر الأنوار بجل فلاسفته خاصة المفكر والاديب الفرنسي "جان جاك روسو"، حيث صار يمثل منعطفا نوعيا في تاريخ الفلسفة الأوروبية الحديثة عامة والفلسفة الفرنسية بصفة خاصة، خلال القرن الثامن عشر، وتكمن نوعية فكره أنه صاغ نموذجا فلسفيا مغايرا تماما للفلاسفة الذين سبقوه، فقد ثار على كل العادات والتقاليد ناهيك عن ثورته على النظام السائد في عصره.

وقد مثل " جان جاك روسو" اتجاها مخالفا لاتجاه دعاة التنوير في عصره، والذين دافعوا عن المجتمع التجاري والصناعي الجديد، كما يخالف دعاة التخطيط الذين نادوا بحكم المستبد العادل، وبين هؤلاء وأولئك طرح "روسو" رؤياه في تحسين وضع البشرية حيث استطاع بعطائه الفكري الذي تدفق أن يشكل منطلق للفكر الحر في أوروبا وفي العالم باسره، إذ يعد زعيما للنزعة الطبيعية في الفلسفة والفكر بلا منازع، كما أعتبر كذلك أبو الرومانتيكية، وواحد من أبرز عمالقة عصر التنوير تأثيرا لا سيما في المجال التربوي وكذا الفكر السياسي والاجتماعي، فقد حاول إلقاء الضوء على علاقة الإنسان بالآخر وكيفية انتقاله من حياة الطبيعة إلى حياة الاجتماع والتمدن في ضل فكرة التقدم .

ونظراً لهذه الأهمية فقد شهدت فلسفة " جان جاك روسو" ثورة فكرية فريدة ومتميزة في الفكر الفلسفي المعاصر، وللوصول إلى نقاط التناهي في فكره ومحاولة الكشف عنها لابد من تحليل محور الموضوع في الإشكالية ما مفهوم التقدم عند "جان جاك روسو" و ما طبيعته؟ والتي تتجلى في التساؤلات التالية :

- كيف أثرت أحداث عصر التنوير في تفجير عبقرية روسو؟

- ماهي الإضافات والبدائل التي قدمها مقارنة مع غيره من الفلاسفة ؟
- هل نقده للتقدم كان بغرض التنظير(كفكرة في حد ذاتها) أم التغيير(الواقع الذي كان سائداً) ؟

وللإجابة على هذه الإشكالية ووفق المادة المعرفية المقدمة والمتوفرة في الموضوع جاء تقسيمنا لهذا البحث على النحو التالي :

مقدمة: فيها عرفنا بالموضوع، وأبرزنا أهميته بشكل عام، وفيها تم عرض الاشكالية العامة وفق جملة تساؤلات، لنتطرق الى ذكر خطوات البحث.

الفصل الأول جاء بعنوان "التطورات الفكرية لجان جاك روسو" وقد تناولنا فيه ذكر مجموعة من الخصائص المميزة لعصر التنوير آنذاك، وذلك باعتمادنا على مبحثين، المبحث الأول فلسفة عصر التنوير بجل خصائصها ومميزاتها وذكر جملة الأفكار التي سادت في تلك الفترة مثل "فكرة العقل" و" فكرة الطبيعة "وكذا" فكرة التقدم" ، المبحث الثاني تناولنا فيه" روسو والحركة الرومانسية" مبينين من خلاله كيف رد روسو على الأفكار السابقة من خلال اعتبار أولا الشعور كبديل للعقل وثانياً قام بنقد فكرة التقدم .

أما الفصل الثاني جاء بالعنوان التالي "الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية وعلاقتها بفكرة التقدم "متناولين فيه مبحثين، حيث جاء المبحث الأول موسوماً "بخصائص الحالة الطبيعية" يندرج فيها الحق الطبيعي وكذلك التطرق إلى فكرة "الحرية" و" المساواة "، أما المبحث الثاني بعنوان "مميزات الحالة المدنية وعلاقتها بفكرة التقدم"، تضم كل من بوادر الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية و مظاهر التقدم في الحالة المدنية و كذلك الحديث عن الاجتماع البشري و الملكية .

أما الفصل الثالث والأخير فقد جاء معنوناً بـ: "الفكر السياسي والتربوي وعلاقته بفكرة التقدم" من خلال تخصيصنا له مبحثين ، فالمبحث الأول تحت عنوان "الفكر السياسي "و كيف عالجه روسو وربطه بالتطور الإنساني و المبحث الثاني "الفكر التربوي" وجل السمات التي دعا روسو إتباعها لإصلاح الجانب الأخلاقي في ظل التقدم ، وقد تمت إضافة النقد والتقييم لفكر روسو إذ لا يخلو أي عمل علمي من الثغرات وأخيرا الخاتمة التي جاءت كإجابة عن الإشكالية و جملة التساؤلات المطروحة .

وفي سياق قراءة فكر "روسو" وتناول مفهوم التقدم عمدنا إلى توظيف الظروف المنهجية للموضوع متبعين:

المنهج التحليلي الذي يعني تحليل أفكار "روسو" المتعلقة بالإنسان ككائن له مجموعة من الخصائص كان يحيا حياة بدائية سابقة على الجماعة، ثم ارتبط فيما بعد بباقي الأفراد ليشكل مجتمع مدني مع بني جنسه، من خلال استنباط نصوص "روسو" واستخلاص النتائج المترتبة عنها، والمنهج الاستنتاجي.

ولقد سعينا في بحثنا هذا في رسم الصورة الحقيقية لفكر "روسو" وهذا من خلال الاعتماد على أبرز مؤلفاته وعلى رأسها كتابه " في أصل التفاوت بين الناس" وكذلك كتابه " العقد الاجتماعي " الملقب بإنجيل الثورة الفرنسية وكتابه "إميل أو التربية " ناهيك عن كتابه "اعترافات جان جاك روسو"

لقد ترسخ لدينا اعتقادا أن هذه القضية (التقدم) صارت جديرة بالبحث باعتبار أن كل الأمم و الشعوب تتوق إليه من جهة :

و لأهميته باعتباره موضوعا اسال كثيرا من حبر رجال الفكر ،كما أخذ الكثير من وقته ، ناهيك عن رياح التغيير التي صارت مسألة حتمية في ظل التيار الجارف المسمى بالعولمة من جهة أخرى

ومن أسباب اختيارنا للموضوع منها ما هو موضوعي وهو إدراك وبيان مدى قوة وقيمة الأسلوب الروسوي في إقامة ثورة فكرية متميزة والكشف عن مختلف الأفكار التي كانت سائدة، ومحاولة معرفة البيئة التي جعلت من هذا الإنسان فيلسوف عبقري عصره وتسليط الضوء على المعاناة التي عايشها الفيلسوف الفرنسي .

أما فيما يخص الأسباب الذاتية فقد تمثلت في معرفة سيره هذا الفيلسوف وتأثير فلسفته وفكره البالغ خاصة فيما تعلق بأسلوبه الذي تميز به عن سائر الفلاسفة .

وككل البحوث العلمية منها والفلسفية خاصة فقد واجهتنا جملة من الصعوبات التي كانت متعلقة أساسا بطبيعة فلسفة "روسو" ،وما يتخللها من تناقض مما صعب علينا الفهم وتضارب الأفكار وكثرة الترجمات، لذا يجدر بنا العودة إلى أم كتبه للتعرف على الوجه الأصلي وكذلك من الصعوبات التي واجهتنا قلة الوقت .

وآخر ما يمكن قوله في هذا المقام هو أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذه المذكرة العلمية، وطورنا قدراتنا البحثية وما النقائص التي سوف يتم تسجيلها من الأساتذة إلا دليلا على خصائص البحث العلمي الذي يتميز بالنسبية والقابلية للمراجعة وإمكانية الخطأ.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

الفصل الأول :

التطورات الفكرية لجون جاك روسو

المباحث :

المبحث الأول : فلسفة عصر التنوير

المبحث الثاني : الحركة الرومانسية في فكر "جون جاك روسو" ومبادئها

تمهيد :

يمثل الفكر الإنساني أبرز الاتجاهات العريقة التي تأخذ من اهتمام وتفكير الكثير من المفكرين والفلاسفة، بحيث يعد من المحاور التي تتمركز حول الحياة الاجتماعية للإنسان والتي عولج عبر مختلف مراحل التاريخ، فالفكر الإنساني يعتبر ذلك النسيج الذي يشكل سلسلة معرفية حيث يؤثر السابق في اللاحق، ليعتبر اللاحق ثمرة ما أنتجه السابق عنه ونستشف ذلك من خلال استقراءنا للتاريخ نلاحظ اثر الفكر اليوناني على الفكر الأوربي، وهذا ما نلتمسه من خلال تأثر الفلاسفة الأوربيين ومنهم "جان جاك روسو" (JEAN-JAC ROUSSEAU)* بكل من "أفلاطون" و"المعلم أرسطو"، وهذا ما أشار إليه فضل الله محمد إسماعيل بقوله":**ارتكز الفكر السياسي الغربي الحديث على منبع يوناني وذلك لما ساهم فيه جل فلاسفة ذلك العصر لذا نجد اثر كل من أفلاطون وأرسطو ولقد تأثر "روسو" بهما ولقد استوحى " روسو" تشوق "أفلاطون" إلى التربية المفرطة في بساطة وفي صياغة مذهبه عن الحياة وفق الطبي**" [(1)].

وكذلك نجد أثر أرسطو على جان جاك " روسو" من خلال تفسيره لفكرة الدولة حيث يعتبرها" **بأنها من الأمور الطبيعية وأن الإنسان من طبعه حيوان مدني وإن لم يكن مدنيا لا اتفاق ولكن بالطبع اعتبر أسمى من البشر أو عد رجلا سافلا**"[2]وهذا يعني

*- **جان جاك روسو(1712-1778):** مفكر فرنسي ولد بجنيف تميزت حياته منذ ولادته بالشقاء والتشرد , فبعد ولادته بأسبوع توفيت والدته لتتركه يتلقى العناية من الآخرين وبعد مغامرات عديدة عمل خادما في تورنتو وفي عام 1741 استقر في المطاف في باريس حين حاول أن يروج لمحاولة في تدوين الموسيقى ثم غادر باريس إلى البندقية حيث عمل كاتبا لسفير في فرنسا وفي سنة 1750 نشر خطابا في العلوم والفنون وفي سنة 1754 اصدر خطابا في التفاوت وفي سنة 1758كتب رسالة إلى دامبير في لمسرح وفي عام 1761 كتب العقد الاجتماعي وأخيرا كتابه اميل سنة 1762, انظر:اميل برهيه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، ج5، ط2، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت,199، ص 191-192.

1 - فضل الله محمد اسماعيل، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، بستان دار المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ط1، (د ت)، ص 16.

2-أرسطو، كتاب السياسات، تر، مصطفى الرفاعي، اللجنة العلمية لترجمة الروائع، بيروت،1957 ،ص 09.

أن الإنسان يعيش داخل الجماعة وهو عضو منها وجزء لا يتجزأ من هذه العضوية فالإنسان بحاجة للعيش مع أبناء جنسه ولا يمكنه الانعزال عنهم، وعليه يتبع القوانين التي تسنها الدولة وذلك لتحقيق العدالة والكيان السياسي باعتباره كائن اجتماعي وأن الدولة في نظره تبدأ بتشكل من العلاقات الطبيعية التي تسعى إلى تحقيق كافة حاجات الفرد "**:والمدينة فضلا عن ذلك لا تصون الحياة المواطنين فحسب بل هي النظام الوحيد الذي يكفل لهم حسن الحياة، إن غاية المدينة هي الحياة الطيبة الصالحة التي يمكن للفرد في ظلها أن يبلغ كماله ويحقق فضائله**"[1]، نستشف من خلال هذا أن الدولة لها مسعى تحقيق المعيشة الحسنة والسعيدة للإنسان في ظل الانسجام الاجتماعي وتحقيق العدالة، أما إذا عدنا إلى الفكر السياسي الانجليزي الحديث والذي يتمثل في نظرية العقد الاجتماعي التي يمثلها كل من الفيلسوفان الانجليزيان" توماس هوبز"

THOMAS HOBBES* و" جون لوك" JOHN LOCKE"**• إلى أن يأتي بعد ذلك الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" حيث اجمعوا بان الإنسان حيوان اجتماعي بطبعه وان اختلفوا في صيغة الطرح فعلى سبيل المثال نجد توماس هوبز قد وضع مفهوم العقد في أهم مؤلفاته السياسية كتابه "التنين " أو" العملاق"L'EVIATHAN" حينما منح الحاكم الحكم المطلق.

وهنا قد يتساءل المرء على "هوبز" مهملين أن الفيلسوف أيضاً ابن بيئته الاجتماعية "**يريد دائما إلحاق الضرر به من جهة وكنتيجة لهذا فان المجتمع الطبيعي الذي كان**

1-أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف ،القاهرة ، ط5 ، 1995، ص29.

* - **هوبز**(1588-1669) فيلسوف انجليزي دخل أكسفورد وهو في الخامسة عشر سنة من عمره اخذ يطالع الكتب القديمة وخاصة الشعراء والمؤرخين، عمل في خدمة بيكون نقل مؤلفاته إلى اللاتينية له العديد من المؤلفات منها : مبادئ القانون السياسي ،التنين، جورج طرابيشي ،معجم الفلاسفة، ط 2، دار الطليعة، 1997،ص 708.

** - **جون لوك:1632-1704**: ولد بمدينة رينجتون بانجلترا، كان أبوه محاميا مشهورا أرسل في سن 14 إلى مدينة وستمنستر في 1652هناك تلقى التعليم الأرثوذكسية بأكسفورد، وله العديد من المؤلفات من بينها :الحكم المدني، رسالة إلى التسامح وغيرها، فؤاد كامل واخرون ،الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم بيروت، (د ط)، (د ت)، ص296.

يعيش فيه يمتاز بحرب فيها الكل ضد الكل كما رأينا من قبل من جهة أخرى "[1] وهذا يحيل على أن هدف الإنسان الوحيد هو السيطرة وحب الامتلاك فهذا الأمر هو الشغل الشاغل لكل فرد والكل يسعى لتحقيق سعادته على حساب الآخرين حيث لا يرضى لغيره السعادة بل على النقيض من ذلك يريد له الشقاء والضرر ويتلذذ بتعاسته وتعذيبه .

وقد كان "هوبز" يعتبر أن قانون الطبيعة هذا "la lois naturelles"**هو مبدأ أو قاعدة عامة يجدها العقل وبها يمنع الإنسان من فعل ما هو مدمر لحياته أو ما يقضي على وسائل الحفاظ عليها**"[2]وهذا يعني أن القانون الطبيعي يضعه الإنسان من جهة ويلتزم به من جهة أخرى وصفوة القول أن فكرة "العقد الاجتماعي" عند "هوبز" قامت على الحكم المطلق وأن السلطة عنده هي سلطة مطلقة ناهيك أن رؤيته للحياة الطبيعية هي شر وحرب دائمة بين أفراد المجتمع ناهيك أن هذا العقد هو تنازل كللي ونهائي عن جميع حقوق الإفراد وحرياتهم .

أما إذا عدنا إلى الفيلسوف الانجليزي "جون لوك" فقد بنا نظرية "العقد الاجتماعي "على الحقوق الطبيعية للإنسان وهي الحقوق التي لا تزول بقيام الحكومة المدنية حيث يقول:"**بما أن البشر كما قيل هم بالطبيعة أحرار ومتساوون ومستقلون، فإن أحدا لا يمكن أن يحرم من هذه الحالة ولا أن يخضع للسلطة السياسية للأخر بدون موافقته الخاصة**"[3]. وهذا يعني أن الحقوق الطبيعية للإنسان هي لبنة بناء العقد الاجتماعي وهي سابقة على المجتمع مما يجعلنا نرى بأن فكرة المجتمع المدني من رضا أعضاء الجماعة وينظر في الحالة التي يوجد الناس فيها بشكل طبيعي هي حالة الحرية الكاملة في تنظيم أفعالهم ضمن قانون الطبيعة، أي أن كل المخلوقات في نفس النوع والرتبة والمنفعة

1- د.مختار عريب،الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، كنوز الحكمة ، الجزائر،2009،ص158 .

2-توماس هوبز، الليفياثان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، تر، ديانا حرب بشرى سعد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الفارابي، ط1 ،2011، ص 139.

3- نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، ط3، 2012،ص 285.

وتظهر ضرورة وضع العقد الاجتماعي في خروج الناس من الحالة الطبيعية إلى حالة المجتمع السياسي .هذا الأخير الذي يعرفه "جون لوك" بقوله :"**إن الذين يكونون هيئة واحدة وقانون واحد وقضاء واحد يرجعون إليه مع وجود سلطة تحسم في النزاع الذي يقوم بينهم وتوقع الجزاء على المعتدي يعيشون في مجتمع سياسي ولكن من ليس لهم مثل هذا التنظيم فهم يعيشون في الحالة الطبيعية**"[1].ونستشف من خلال هذا القول الذي تقدم به "جون لوك" أن الأفراد تعاقدوا فيما بينهم وتخلوا عن جزء من حريتهم وحقوقهم للسلطة السياسية وذلك لتحقيق الأمن والحماية لهم من خلال خضوع الجميع للقانون أكان حاكما أو محكوما، لان مصدر مآسي الإنسانية في نظره سببها الحكم المطلق وعلى هذا الأساس اقر جون لوك إمكانية التمرد والعصيان وحتى الثورة ضد الحاكم وإذا خالف أو خرق مبادئ وقواعد العقد الاجتماعي وعلى ضوء ما سبق ذكره فقد كان للمفكرين الانجليزيين كل من "توماس هوبز" "جون لوك" تأثير على الحياة السياسية في القرن الثامن عشر(عصر التنوير) عامة وعلى الفيلسوف الفرنسي (جان جاك روسو) خاصة.

إذ يعد "**قربه من الشعب ومن آلامه وآماله ومن ثم فان الرجل العظيم او المفكر العظيم هو الذي يعمل بأفكار عصره ويعيد خلقها وهذا ما فعله** " روسو" **حتى انه تأثر بكتاباته هو نفسه تأثرا كبيرا إذ كان يعد مغرورا، وحاد الطباع ثائر على المجتمع وعاداته وتقاليده وعلى السلطة الحاكمة، ولذلك فهو لم يؤمن بالإصلاح المعتدل وإنما سعى إلى قلب كل الأوضاع حتى يستطيع تحقيق الديمقراطية المباشرة والمساواة التامة وإعادة بناء النظام الاجتماعي والسياسي** [2]"وهذا يعني أن "جان جاك روسو" استمد جل أفكاره من خلال مجتمعه والتأثر بالأوضاع السائدة في عصره، وأعاد صياغتها وفق رؤيته الخاصة مما اظهر تميزه الفريد عن من سبقوه وعليه كيف بنا "جان جاك روسو" فلسفته في ظل عصر التنوير .

1-أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس ، ص69.

2- إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط1، 2001، ص 218.

المبحث الأول: فلسفة عصر التنوير

عند الحديث عن فكر وفلسفة أي فيلسوف، يقتضي ذلك الاستناد والرجوع إلى مميزات العصر الذي عايشه إذ تعد تلك اللبنات الأولى التي ترتكز عليها في تشكيل وبناء نسقه الفلسفي، إما بالقبول أو الرفض، لتلك الأفكار أو يحدث ثورة على نمط تفكير عصره برمته من خلال النقد ومحاولة التغيير في الأوضاع السائدة إذ يعد "جان جاك روسو" ابن عصره بما للكلمة من معنى، ولإبراز سمات التغيير الذي أحدثه يتحتم علينا ذكر الخصائص العامة لعصر التنوير .

أولا : فكرة العقل

آمن فلاسفة عصر التنوير بالعقل وتفاءلوا بقدرته على اكتشاف الحقيقة، إذ اعتبر أن هذا التفاؤل المرتبط بالعقل عقد نشأ على يد سقراط ،الذي خلق تيار يقدس العلم الذي امتد إلى اليونان ليعود ظهوره في عصر النهضة الأوروبية في القرن الثامن عشر.

حيث تعد فكرة العقل المحور الأساسي لفلسفة الأنوار حيث اعتقد أصحابها بأن العقل وحده كفيل لحل مشاكل الإنسان والخروج به نحو بلوغ الكمال، حيث ارتبط بنبذه للفراغات والأساطير وكذا سيطرت الكنيسة على كل مجالات الحياة هذا ما جعل "فولتير"•يوجه نقدا صارما على هذا التوجه الكنسي لما يحمله من معتقدات خاطئة، وهذا إذ دل على شيء فإنما يدل على أن القدرات العقلية الطبيعية للإنسان كانت عاجزة عن التقدم والتطور وبقائها على ظلمات الجهل من سيطرة الكنيسة وكذا الترسيخ الخاطئ للمعتقدات كما أن اتجاه العقلانية تلقى الكثير من النقد من قبل فلاسفة القرن الثامن عشر "جان جاك روسو" هذا الأخير الذي "**هاجم العقلانية ورأى أن المصدر الأعظم للعلم والمعرفة وإدراك الأمور هو الشعور الإنسان ورقة العاطفة، والإنسان خلق أديبا ولم يخلق عقلانيا، وما يفسده هي نشأته في المجتمع الراهن المبني على الأنانية والجشع، فيأخذ بجمع المال والعقار وبطرق غير أخلاقية، أما لو عدنا للفطرة لوجدنا هناك مجتمعا أخلاقيا اجتماعيا وسعيدا**"[1]وعلى ضوء ذلك يبرز " روسو" أن العقل هو سبب الجشع والأنانية إذ نجده يرجع أساس المعرفة إلى الشعور والعاطفة فمن خلالهما يمكن تحقيق مجتمع أخلاقي سعيد .

*- **فولتير**: فرانسوا ماري أرويه، (1694-1778)، فيلسوف فرنسي ومناضل كان يسخر من التوراة وآباء الكنيسة، عكف على مطالعة كتب كل من جون لوك ونيوتن، له عدة مؤلفات من بينها : الرسائل الفلسفية 1734، مبادئ فلسفة نيوتن 1737، انظر،جورج طرابيشي معجم الفلاسفة، ج5، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2006، ص471.

1- فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث ، دار الجيل ، بيروت، 1985، ص 102.

"**فالإنسان بطبيعته أنيس، دمث بريء، أخلاقي أكثر مما هو عقلاني ونادى بالعودة للطبيعة حيث الناس كانوا أبرياء فقال : أن المجتمعات الفطرية أنبل وأرقى حضارة من المجتمعات المسماة متمدنة**"[1]. هكذا إذن يرى "روسو" أن عودة الإنسان إلى الطبيعة هي العودة إلى البراءة والصفاء والفطرة حيث كانت المجتمعات حسبه أرقى حضارة وذلك من خلال العودة إلى طبيعة الإنسان، فالإنسان بطبعه بريء وأخلاقي فالجانب العقلاني يأتي ثاني مرحلة بعد الفطرة والشعور الإنساني.

ناهيك عن أن الطبيعة تضاد العقل عند " روسو" حيث نجده يقول:" **إذا كانت الطبيعة أعدتنا لكي نكون أصحاء فإنني أكاد أجرا على التأكيد بان حالة التفكير مضادة للطبيعة وان الإنسان الذي يتأمل مخلوق فاسد** "[2].وهذا يعني أن التفكير عند " روسو" يتنامى مع الطبيعة الأولى للإنسان .

فقد حاول "روسو" إبراز فكرتي الحرية والمساواة على أساس أنهما طرحان موجودان لذا نجد الفرد خلال المرحلة الطبيعية السابقة عن فكرة التعاقد يعيش السعادة لأنه كما بين "روسو" فكرته المناقضة للعقل من خلال القانون الطبيعي، حيث يقول "روسو": **من غير الصحيح أن العقل يحملنا في حالة الاستقلال، على المساهمة في الخير المشترك استبصارا منا بمصلحتنا** الخاصة **فبدلا من أن تضامن المصلحة الخاصة مع الخير العام يتنافى واحدهما مع الآخر في سياق النظام الطبيعي وما القوانين الاجتماعية إلا نير يريد كل فرد فرضه على الآخرين، ولكن بدون أن يتحمله هو نفسه** "[3]. إذ نستشف من قوله هذا انه يريد أن يبين لنا أن العقل من خلال فكرة الاستقلال ورؤية الإنسان لمصلحته الخاصة يولد فينا حب الذات والأنانية وهذا ما يتعارض مع فكرة تحقيق الخير العام

1- فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث، ص102 .

2- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1982، ص 213.

3-إميل برهيه، تاريخ الفلسفة ،ج5، ترجمة ،جورج طرابيشي، ط2، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص199.

للمجتمع وكذا التضامن الاجتماعي العام، فهذا هو المسار الصحيح للنظام الطبيعي فإذ تفاقم حب التملك بين الأفراد يضيع ذلك التماسك الاجتماعي، ويصبح كل فرد يسعى ويطمح لتحقيق مصالحه على حساب الغير وهذا في ظل تمجيد العقل إذ من خلال التطور والتقدم الذي وصل إليه الإنسان نابع من تفكيره، ما ولد جراء ذلك ما يعرف بالحضارة التي أضحت سببا في زوال وتراخي الروابط الاجتماعية وتكريس مبدأ الذاتية .

ويستمر "روسو" في رفضه للعقل الذي حضا من قبل بالتمجيد ولاقى الكثير من الاهتمام لدرجة التقديس حيث يقول روسو :" **لقد عرفت الشعور قبل أن أعرف التفكير، هذا نصيب البشر المشترك، ولكنه كان نصيبي أكثر من غيري...حينما كنت قد تمرست بجميع العواطف والأحاسيس، لم أكن قد فكرت بشيء، ولكني كنت قد أحسست بكل شيء**"[1]. أي أن من بين الخصائص التي تميز الإنسان هي خاصية التفكير الذي منبعه العقل وهي مناقضة للطبيعة، هذه القدرة العقلية هي مصدر تعاسة الإنسان وشقائه، ويذهب " أبو الطيب المتنبي" إلى القول "**ذو الفضل يشقى في النعيم بعقله وأخ الجهالة فبالشقاوة ينعم**"، وفي تأكيده على أن العقل أناني بالطبع ذلك لأنه بحسب " روسو" يرجع كل شيء وهو أصل الشقاء، وأن العاطفة هي المرشد الأمين الكافي لتحقيق السعادة، يقول " روسو" معبرا عن العاطفة "**كل ما أحسه شرا فهو شرا، الضمير خير الفقهاء**"[2].

ونجد تصريحا له ينفي به العقل من خلال قوله: "**أنا موجود لأنني لا أكاد أفكر، بل يمكن أن أقول: لأنني لا أفكر**"[3]. يتضح أن العقل حسب " روسو" لا يحقق لنا تلك المعرفة المرجوة، فالمعرفة ليست بأفكار ذهنية عقلية بل هي جملة الأحاسيس والمشاعر

1–اندريه كريستون،" روسو" ،حياته، فلسفته، منتخبات، تر، نبيه صقر منشورات عويدات، بيروت، ط4 ،1988، ص09 ،10.

2 – يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص 216.

3–جان فال ، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، تر، فؤاد كامل ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة، (د ت)، ص 12.

التي يمكن أن نستند عليها، والمحسوسات يتم إدراكها في الطبيعة بعواطفنا فما مفهوم الطبيعة عند "جان جاك روسو".

ثانيا : فكرة الطبيعة

مفهوم الطبيعة جاء في المعجم الفلسفي "لجميل صليبا" " **أنها هي القوة السارية في الأجسام التي به الموجود إلى كماله الطبيعي، وهذا هو الأصل الذي ترجع إليه جميع المعاني الفلسفية التي يدل عليها هذا اللفظ ويقال أيضا من المعاني أي الطبيعة ما يتميز به الإنسان من صفات فطرية وهي ضد الصفات المكتسبة فيقال طبيعة الإنسان العالم في مجموع وظائفه العقلية الفطرية يقال أيضا طبيعة الإنسان الحسية أي دوافعه الغريزية**"[1].

أما بالنسبة لمفهوم الطبيعة الأولى عند "روسو" . هذا يعني أن الإنسان الأول كان يعيش حياة سعيدة بعيدة عن الخداع حيث يحيا حياة بسيطة مثله مثل باقي الحيوانات الأخرى فهو يقضي متطلباته، من خلال الطبيعة من مأكل ومشرب وملبس، ناهيك أن هذا الإنسان الطبيعي" **كان متوحدا في الغابة لا يعرف أهله ولعله لم يكن يعرف حتى أولاده لا لغة له ولا صناعة ولا فضيلة ولا رذيلة فالفضيلة هي تلك الحالة كانت مطبوعة في كل النفوس وان امتهانها لم يكن إلا بعد تلك المرحلة وذلك لأن الإنسان الطبيعي لم تكن له مع أفراد نوعه أية علاقة يمكن أن تصير علاقة أخلاقية** "[2]. يمكن القول أن الإنسان الطبيعي لم يقم أي علاقة وانه ليس بحاجة للآخرين وذلك لأنه كان قادرا على كفاية نفسه بنفسه.

علاوة على ذلك فإن الإنسان الطبيعي حسب "جان جاك روسو" كان يتوفر على غريزتين، غريزة المحافظة على وجوده و الثانية هي استعداده للرحمة والتعاطف حيث

1-جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ،ج2، (د ط)، 1982، ص13.
2-يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص202.

يقول :" **بشأن الأولى أن الخيرات الوحيدة التي يعرفها في العالم هي الطعام والأنثى والراحة، أما الشرور التي يخشاها فهي الوجع والجوع أما الثانية فهي التي يكون فيها رجل الطبيعة يتبع المثل القائل اعمل ما فيه خيرك بأقل ما يمكن أن يلحق من أضرار بغيرك** "[1]. يعني هذا أن الإنسان في محيطه الطبيعي كانت حياته بسيطة يسعى من خلالها للمحافظة على ذاته وان يعيش في وئام وسعادة مع غيره من أفراد مجتمعه.

ومن خلال حديثه كذلك عن الإنسان الطبيعي يقول "روسو" **أود أن يقولوا لي ما هو هذا الشقاء الذي ينسبونه إلى رجل الطبيعة وأي شقاء يمكنه أن ينتاب كائنا حرا مطمئن القلب سليم الجسم** "[2]. يعني قوله هذا ردا على دائرة المعارف الذين اعتبروا حياة الإنسان الطبيعي تمتاز بالشقاء فرد عليهم " روسو" بأنها حياة حرية واطمئنان.

زعم " روسو" في مؤلفه محاورات "**إن الطبيعة البشرية لا تخطوا خطوة إلى الوراء قط وما إن نهجر براءتنا المفقودة حتى لا يمكننا استعادتها فيما بعد وحتى هذا النوع من المجتمع البدائي الذي لابد أنه نشأ فيما يصفه** "روسو" **بأكثر الحقب سعادة واستقرارا** "[3]. وبذلك نلاحظ أن" روسو" يريد أن يبين أن الحالة الطبيعية هي أكثر الفترات تحقيقا للسعادة والاستقرار للإنسان.

وقد وصف الإنسان البدائي المرتبط بمحيطه الطبيعي الذي يعيش فيه متوحدا طيبا، يتسم بصفة الشفقة اتجاه اخوته من الإنسانية، يهلك ويتألم بعيدا كل البعد عن كل مظاهر الزيف التي احتوته طوال مسيرة تطوره تحت اسم الفن والعلم والحضارة حين يقول "جان جاك روسو" "**ها أني أراه تحت شجرة بلوط نافعا عطشه من أول جدول ماء واجدا سريرا**

1-إسماعيل زروخي ، دراسات في الفلسفة السياسية ،ص220.

2- اندريه كريستون، روسو، حياته، فلسفته، منتخباته، ص82 .

3 – روبرت ووركلر، روسو، تر، أحمد محمد الروبي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، 2015، ص69.

لنومه عند جذع أول شجرة أمدته بوجبة الطعام "[1]. نجد من هذا أن الإنسان المتوحد عكس ذلك كان كاملا سعيدا ذلك يظهر في قلة حاجاته ومتطلباته اليومية فإرضائها وتحقيقها سريع نظرا للحرية التي كان يتمتع بها والاستقلال فكان كل إنسان مساويا لكل إنسان.

تعتبر الحالة الطبيعية الأولى أو كما يصطلح عليها الحالة البدائية، هي التي تعبر عن حياة الإنسان الذي كان يعيش بمفره حياة كلها بساطة، من خلال مأكله ومشربه وملبسه فهو يحقق كل هذه الحاجيات من الطبيعة المحيطة به ورغم هذه البساطة إلا أن تفكيره الذي ساهم في تقدمه مما أدى به إلي الفساد "**إن البشر أشرار...غير إن الإنسان طيب بطبيعته ...فما الذي أمكن له أن يفسده إلي هذا الحد إلا أن يكون تلك التغيرات الطارئة على جبلته وذلك التقدم الذي أحرزه وتلك المعارف التي حازها**"[2]. معنى هذا أن تغير الإنسان من طبعه الخير والأخلاقي يرجعه لتلك التطورات في شتى جوانب الحياة المجتمعية للإنسان، التي أدت به لان يكون إنسانا فاسدا وأناني مع غيره من البشر وأصبح هو ذاته يعاني من الأمراض، وكذلك انفصال تلك الوحدة الاجتماعية القائمة على التعاون إلي حب الذات والفساد.

1-جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس ، تر، عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، (د ط)، 2012، ص38.

2- إميل برهيه، تاريخ الفلسفة ، ص198.

ثالثاَ: فكرة التقدم

قبل أن نتحدث على التقدم من الناحية الإجرائية فيجب أن نقدم تعريف لغوي شامل له، فهو :" **السبق والحركة للأمام ويتضمن التجاوز وهو ضد التراجع، كما يعني في الأقدمية بالشرف والعلم، وقد أجمعت معظم المعاجم العربية على هذا المعنى** "[1].

" **أما بصفته مصطلحاً فلسفياً فقد ظهر لدى اليونانيين بالمصطلح Poro وبمعنى حرفيا pusching foreward، أي الاندفاع للأمام، ويبدوا أن هذا المصطلح قد تمت صياغته في العصر الهلينستيني** " [2].

إلا أن هذا المفهوم وهذه الفكرة قد اختلفت التعبيرات عنها من عصر إلى آخر تبعاً لطريقة التفكير وأسلوب تفسير التاريخ الإنساني، هذا التنوع في التفسير قد مثل مراحل تقدم العقل البشري نفسه، وقد ظهرت أحياناً بشكل آخر ذي طابع ميتافيزيقي كامل ورجاء في الحصول على وضع أفضل من المراحل السابقة. " **وفي الفكر العربي ظهرت الفكرة بمصطلحات عديدة، أهمها وأحدثها كلمتا الترقي والنهضة** "[3]. معنى هذا أن فكرة التقدم يتغير مفهومها بتغير العصر، وهذا وفقا لتنوع الشرح عبر اختلاف التفكير حتى في الفكر العربي، وهذا ما اتسم به القرن الثامن عشر، من خلال إعطاء مفهوم جديد للتقدم بحيث أعتبر هذا الأخير هو الحركة إلى الأمام.

1 – المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مطابع شركة الإعلانات الشرفية، ط1، 1989م، ص 492.

2 – حسن محمد الكيلاني، فلسفة التقدم، دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ، مكتبة مدبولي، 2003، ص 15.

3 – فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم الغربي الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1988م، ص 20,21.

" كما ظهر مصطلح التقدم أيضاً، بمعنى الكمال " perfectiblite"، القرن 18، إلا أنه لم يرد في الموسوعة، وإنما تم ادراجه "معجم ترايفو" .Dictionaure Trevousc في سنة 1771م، ولم تقره الاكاديمية الا عام 1798م" [1].

" وقد اكتملت معاني هذا المصطلح بشكله الجديد حينما عنى به التقدم " progres" في القرنين 18م و19م، بحيث أصبح يشير الى تقدم الانسانية في خط سير تصاعدي وتقدمي، وقد تضمن ذلك الإيمان بتقدم العقل البشري الى ما لانهاية " [2].

والمقصود بذلك هو الحديث و التعبير عن من الجانب العقلي الذي لا حدود له، في تنامي التفكير الإنساني الحديث كون هذا " **التقدم بمفهومه الأكثر حداثة هو التحول من حالة إلى حالة أفضل من حيث المقدرة الإنتاجية، وهذا التقدم هو التقدم الاقتصادي، والتقدم بمعنى السيطرة على الطبيعة هو التقدم العلمي والتكنولوجي، والتقدم في الثقافة والعلاقات الإنسانية هو التقدم الاجتماعي**"[3].

و في الحديث كذلك عما خلفته مختلف العلوم الطبيعية، من أثار ايجابية على حياة الإنسان، حيث: " **سيطرت فكرة التقدم على الفكر الأوربي بصورة واضحة خلال القرن 18م، والذي عرف بعصر "التنوير" حيث بدأ الناس بالتفاؤل بمستقبل الإنسان، وكانت هناك درجة معقولة من الاتفاق بين أهل الفكر على أن الإنسانية تتقدم في ميدان واحد على الأقل هو ميدان العلوم الطبيعية والرياضية "** [4].

معنى هذا أن فكرة التقدم يمكن وصفها بأنها تمركزت في الفكر الأوربي، حيث كان التقدم لازم على الأقل في مجال واحد، من مجالات الحياة الإنسانية.

---

1 – حسن محمد الكيلاني، فلسفة التقدم، دراسة في اتجاهات التقدم و القوى الفاعلة في التاريخ، ص 16.

2 – نفسه، ص 16.

3 – نفسه، ص 18.

4 –حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، (د ط)، 1978م، ص 245.

و في الحديث عن الفلاسفة والمفكرين الذين تناولوا في فكرة التقدم نجد من بينهم الفيلسوف المفكر الفرنسي "جان جاك روسو" .

إذ أن المحور الرئيسي " **في الفكر الروسوي يكمن في السؤال التالي: كيف يتحرر الإنسان من أغلاله ومن الاستلاب الذي سلط عليه ويعود إلى نفسه ليصبح حراكها كان في الطور الطبيعي؟ أن العلوم والفنون والفوارق الاجتماعية غيرت –حسب** "روسو"– **طبيعة الإنسان الذي خلق من اجل أن يكون حراً وسعيداً وفاضلاً حول بواسطة هذه العوامل إلى إنسان مكبل بالأغلال في كل مكان وشقياً وفقد فضائله التي زودته بها الطبيعة** "[1].

وهذا يعني أن الإنسان في حالته الطبيعية كان يعيش سعيداً وذلك من خلال نصيبه الكبير من الحرية، لكن مع تطور العلوم والفنون، أصبح هذا الإنسان حسب" روسو" مكبلاً بالأغلال مما دفعه ذلك لفقدان فضائله وجعلت منه شقياً عكس الحالة الطبيعية الأولى التي كان يسودها الخير .

يذكر " روسو" في قوله : " **إن الطبيعة قد خلقت الإنسان حراً وجعلته خيراً، ولكن الإنسان باختراعاته قد أفسدها، ومادام تدخل الإنسان يفسد النظام الطبيعي فيترتب على ذلك أن أحسن طرق السلوك هي تلك التي تترك الأشياء تجري على أغنتها وتأخذ طريقها الطبيعي**" [2]، وعلى هذا الأساس يرى أن الطبيعة وقوانينها خيرة ولكن مصدر السوء والشرور إنما يرجع إلى النظم والاختراعات وكل المواضعات التي بها الإنسان هي سبب الفساد، وأعتبر أن الطريق السوي والمستقيم هو الطريق الطبيعي، الذي يعيش فيه حياة رومانسية حقيقية، وهذا ما ستناوله لاحقاً.

1 –مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، ص 156.

2 – أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، ص 78.

المبحث الثاني: الحركة الرومانسية في فكر "جون جاك روسو" ومبادئها

إن التمجيد الذي عرفه العقل في القرن الثامن عشر –عصر التنوير– كان لابد أن يقابل برد فعل قوي له، وكانت الحركة الرومانسية من أقوى ردود الأفعال بعصر العلم والعقل الذي ساد لفترة زمنية معتبرة، حيث جاءت –النزعة الرومانسية– في السنوات الأخيرة في القرن الثامن عشر وكأن لها تأثيرها الكبير سواء كان هذا التأثير إيجابيا أو سلبياً، وذلك على أوجه النشاط الإنساني فيما تجسد في أدب وفن وفلسفة سياسية [1].

1 – محمد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1984، ص 24.

أولاً: الشعور(العاطفة) كبديل للعقل:

تعتبر الرومانتيكية تلك الثورة التي قامت اتجاه العقل وكانت ردة فعل قوية على ذلك التقديس المفرط الذي حازه العقل، فهي تلك الانقلاب الذي شهده العالم الغربي " **وقد حازت على عدة تعريفات من جملة الفلاسفة لذا نجدها عند "ساندال" يقول : إن الرومانتيكية هو الحديث والمثير بينما الكلاسيكي هو القديم والممل ... فما يعنيه هو أن الرومانتيكية هي مسألة فهم للقوي التي تحركك في حياتك الخاصة، بمقابل نوع من الهروب إلى أمر تجاوزه الزمن ويقول "هانيه" إن الرومانتيكية هي زهرة الآلام التي انبثقت من دم المسيح، إعادة لشعر القرون الوسطى السائر في منامه، فهم حالمة تطالعك بعيون عميقة الحزن لأطياف ضاحكة** " [1].

من خلال هذا الرؤى يمكن القول :" **أنها باختصار الوحدة والتعدد الولاء للخاص، في اللوحات في تصور الطبيعية مثلاً، وهي أيضاً الغموض اللغوي للتخوم، إنها الجمال والقبح، إنها الفن من أجل الفن، وهي الفن كأداة للخلاص الاجتماعي**" [2].

ونظراً للتعدد الفلاسفة والشعراء و المفكرين وكل حسب زمانه والمكان الذي احتواه، وكذا الفكر السائد في عصره باختلاف الظروف المعاشة، لا يمكن أن نصل إلى تحديد تعريفاً واحداً للرومانتيكية، إلا أن "روسو" كان من المبشرين بالحركة الرومانسية .

إذ "**يعتبر روسو من تبني الحركة الرومانسية في أوائل القرن التاسع عشر، وأكثر ما يكون رجلاً من عصر التنوير، فلقد قام بالكثير لكي يعبر طابع الفكر الأوربي في**

1 – إيزايا برلين، جذور الرومانتيكية، تر، سعود السويدا، جداول للنشر والتوزيع، لبنان، ط1 ، 2012، ص 47,48.

2 – نفسه، ص 54.

الفلسفة السياسية والآداب ولكي يوقظ حب جمال الطبيعة الفزيائية وتقدير أهمية العواطف في الحياة البشرية ولم يكن ميتافيزيقياً منطقياً"[1].

وهذا يعني أن الفيلسوف الفرنسي "روسو" اعتبر شخصية كبيرة في النزعة الرومانتيكية وقد كان يعبر عن الاتجاهات التي كانت سائدة في عصره بالفعل، فأراد إيقاظ شغف المثقفون الفرنسيون بحب الجمال أو ما أطلقوا عليه الشعور أو الأحاسيس **la sensibilite**" بغية الميل إلى العاطفة "**وكان روسو قد ذهب –ينبوع الحركة الرومانسية– إلى إعلاء ما أسماه " الإنسان الطبيعي" إلا أن تصوره ونيوتن، بل كان قائماً على خبرته هو الشخصية، فالإنسان عنده ليس هو ذلك المخلوق الذي يفكر تفكيراً عقلياً منطقياً ليحكم على الأشياء من زاوية منفعيتها له أو لأصحابه، بل هو ذلك المخلوق الذي يشعر ويتأثر"**[2] .

ومن خلال هذا فهو يعتبر الإنسان في مجاله الطبيعي من خلال الشعور والعاطفة يستطيع إدراك عالمه وقضاء حاجياته سواء لنفسه أو غيرة الآخرين، فهو كائن يشعر ويتأثر بعيداً عن التفكير العقلي، فرغم اتساعه وعظمته التي حازها في تلك الفترة من خلال تطور العلوم بفضله إلا أنه أعتبر ذلك التنميط و التضيق للعالم بجعله نظاماً ألياً، فالطبيعة البشرية من غير الملائم التعبير عنها، إلا من خلال المشاعر والأحاسيس، ولعل خير من عبر ذلك هو "روسو" حيث نجده يقول:" **سعيد ذلك الرجل الذي ترتبط رغبته وغايته بأراضي أهله وعشيرته يقنع بأن يستنشق الهواء على أرضه التي له، فقد**

1 –وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة، تر، محمود السيد أحمد، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010، ص 238.

2 – محمد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص 25.

كان يناشد عبادة الحساسية القائمة من قبل، وقد أعطاها اتساعاً ومجالاً لم تكن لتحوزهما بدونه كان ديموقراطياً ليس فقط في نظرياته بل أيضاً في ذوقه "[1].

وهذا يعني أنه أعتبر "أب الحركة الرومانسية" فقد أعطى لما بعد جديد ونظرة متفائلة السائد في عصر من تنميط عقلي إلى نزعة جذابة رومانسية من خلال مناشدته للقلب "**كما رأى الكثير من منتقدي العقلانية في القرن الثامن عشر ميلادي وبعده مثل" روسو" وفولتير وغيرهم أن الثورة الليبرالية أصبحت في مجملها ثورة الطبقة الوسطى الجديدة وفقط، ولهذا أحدث رد فعل تلك الليبرالية ومتكلميها تمثل النزعة الرومانتيكية، وهي المناداة بالعودة لأيام أول سعيدة" يوم كان الناس يحترمون بعضهم البعض ويحترمون التقاليد والإرادة العامة، تضم هذه الحركة جماعة فرنسية من أمثال فولتير و" روسو" وعرفت باسم مدرسة الفلاسفة philosophes "** [2].

ومن خلال الثورة الليبرالية ظهرت انقسامات داخل المجتمع الواحد إلى طبقة الأغنياء وتمتعهم بجملة الامتيازات وطبقة الثانية الفقراء والمحتاجين ويعانون من استخفاف وتهميش، فالرومانتيكيون يعطون قدر عظيماً للفطرة والعاطفة والخيال، و هذه الحركة تضم جانباً سياسياً واجتماعيا يسعى لتحقيق السعادة والعدالة في المجتمع وترفض التعالي الطبقي والتمييز بين الأفراد.

إذ "**تستهدف الحركة الرومانسية في جوهر تحرير الشخصية الإنسانية من أغلال العرف الاجتماعي والأخلاقيات الاجتماعية، وكانت هذه الأغلال في جانب منها، معوق**

1 – بتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر، محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، ط3، 1988، ص 285.

2 – فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث، دار الجيل، بيروت، ط1، 1985م، ص 98.

لا جدوى منه لإشكال مرغوبة من النشاط، ذلك لأن كل جماعة قديمة قد طورت قواعد للسلوك لم يذكر عنها شيء اللهم إلا أنها تقليدية"[1].

هذا يعني أن النزعة الرومانسية في شكلها الجوهري ثورة على المعايير الأخلاقية والجمالية، فهي تقود إلى تحرير الفرد من كل القيود والأغلال المسيطرة على حياته، فالإنسان ليس حيواناً منعزلاً، بقدر ما هو مندمج في الحياة الاجتماعية .

سعى " روسو" للدفاع عن المشاعر والعواطف الإنسان مقابل العقل وكان هذا من أبلغ ما شكل النزعة الرومانسية، وقد ترتب عن هذا كذلك رسم طريق جديد، يجعل الشعور بالوجود نابعاً من قلب الإنسان دون الحاجة إلى العقل، حيث" **ذهب الرومانتيكيون أي إنكار العقل للقلب له تأثير قاض لإنكار القلب للعقل تماماً فلابد من قيام ما يسمى "بالعقل التحليلي" بحدة قدرته على التمييز بالتعاون مع مشاعر التعاطف وذلك إذا كنا نزيد الاهتداء إلى الإدراك العلوي للحق ووحدة البصيرة** ".[2]

إن حياة "روسو" كانت مليئة بالمغامرات وكان دائم التطلع إلى وحدة المعرفة والاكتشاف لكن كان دائماً يعتبر الشعور والأحاسيس أساس هذه المعرفة، حيث نجده يقول: " **لقد عرفت الشعور قبل أن أعرف التفكير، هذا نصيب البشر المشترك، ولكنه كان نصيبي أكثر من غيري ... لقد اكتسبت بهذا المنهاج الخطر ... فهما فريدا، بالنسبة إلى عمري، وذلك في ما يتعلق بالميول والأهواء، لم أكن قد فكرت بشيء ولكن كنت قد أحسست بكل شيء** "[3].

وهذا يعني أن "روسو" يقر بأولوية وأسبقية الأحاسيس التي ينبع من القلب على صوت التفكير النابع من العقل، فالمشاعر هي الوسيلة الأولى لتحصيل المعرفة.

---

1 – برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ص 285.

2 –فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث، ص 121.

3 – اندريه كريسون، روسو، حياته، فلسفته، منتخبات، ص 9,10.

انطلاقا من الكوجيتو الديكارتي القائل : " **أنا أفكر إذن أنا موجود** "

نجد "روسو" عكسه فهو يعلي من شأن العاطفة والأحاسيس يقول : " **أنا موجود، ووجودي يتضح في شكل كائن ذي أحساس وتفكيره وإرادة، وهو ذا حقيقة لا ريب فيها عندي، فأنا أشعر بأني في الوجود أتلذذ وأتألم، أحب وأبغض، أفكر، وأصمم، وهذا الشعور هو أقوى وأبلغ لدي من كل بيان وبرهان** " [1]. وبذلك فهو يعتبر أن المعرفة في هذا الوجود تتم عن طريق الشعور فهو المعلم والمبين للحقيقة، ومن خلال التأمل لذواتنا في ذواتنا نكون على تامة من وجودنا والأحاسيس والعاطفة أساس ذلك .

ويقول أيضاً معبراً عن العاطفة السابقة للفكرة : " **وجودنا يعني إحساسنا، فإحساسنا إذن سابق لفهمنا، وعواطفنا سابقة لأفكارنا، مهما كانت علة وجودنا، فقد منحتنا هذه العلة بغية حفظ كياننا، عواطف معينة تلائم طبيعتها، ولا يمكن لأحد أن ينكر أن هذه العواطف ولدت معنا**" [2]. وهنا يبين" روسو" وجهة نظرة في أسبقية وجوده أو الوجود الإنساني إذ أعطى العاطفة والأحاسيس للأهمية باعتبارها اللبنة الأولى للوجود الإنساني فهي ملازمة لنا منذ ولادتنا .

ثانياً: نقد فكرة التقدم عند روسو :

وإذا كانت فكرة التقدم هي ثورة ضد التخلف والثبات والجمود وهي حركة تطور نحو الأفضل ونحو تحقيق الرفاهية، إلا أن هذه الفكرة تعرضت للكثير من الانتقادات من طرف الفلاسفة والمفكرين، حيث يرون أنها قضت على ذلك الإنسان الطبيعي ولعل من بين أهم الفلاسفة اللذين عادوا فكرة التقدم، نجد الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" " **ومع ما دفع "روسو" لمعاداة التقدم يتمثل في ملاحظة أن التقدم كان على حساب الأغلبية الساحقة في المجتمع غذ يدفعون ثمن رفاهية القلة وترفها من عرقهم**

1 – اندريه كريستون، روسو،حياته، فلسفته، منتخباته، ص 59.

2 – نفسه، ص 149.

وجهدهم، بل وحريتهم فرفض النتائج التي آل إليها التقدم، وكانت الخطوة التالية هي الجهر بأن الحضارة سبب البلاء وأن ما يدعى بالتقدم مرادف بلا جدال للنكوص"[1].

وهذا يعني أن التقدم في المجتمع والمحيط الذي عاشه "روسو" ظهرت فيه طبقية بين من هم أغنياء ومن هم فقراء، وهم الذين يدفعون ثمن رفاهيتهم وترفهم، فكل الفضل يرجع إليهم لكنهم يعاملون بتهميش وازدراء، فالحضارة حسبه سبب البلاء والفساد .

كما آمن " روسو" بأن " **نفوس تعرضت للفساد بقدر ما تقدمت علومنا وفنوننا نحو الكمال وأن الفضيلة كانت تختفي كلما سطعت أنوار العلوم والفنون في الأفق، وبهذا أصبح المجتمع يعاني من انتشار الرذائل وانعدام الفضائل التي فقدت مكانتها ومعناها بعد انحراف الحضارة عن وجهتها الصحيحة، مما أدى إلى إنتاج إنسان فاسد خلقياً، مستغل، ومكبل سياسياً** "[2].

من خلال هذا فالحالة الطبيعية التي كانت سائدة تميزت بالخير والسعادة والفضيلة، وأن العلوم والفنون هي المسؤولة تاريخياً عن ازدهار الكذب والرياء والقلق والخداع، وأن الانحطاط الخلقي ينمو ويزداد كلما نمت المدنية، وارتفاع الحضارات شرط ابتعاد الإنسان عن الحالة الطبيعية.

ومن خلال المقالة التي كتبها "روسو" والتي تجيب عن السؤال التالي : " **هل يساهم إحياء الفنون والعلوم تهذيب الأخلاق" في أكتوبر 1849 فالفكرة الرئيسية لهذه المقالة هي : أن الحضارة مفسدة للبشرية وأن كمال فنوننا وعلومنا صاحبه فساد أخلاقنا، وقبل أن نكتسب مهارات المتحضرين وخصالهم، وقبل أن تشكل أنماط حياتنا القيم الزائفة والاحتياجات المصطنعة كانت أخلاقنا بدائية لكنها طبيعية، ولكن مع ميلاد المعرفة**

1- ج.ب. بيوري، فكرة التقدم، تر، أحمد حمدي محمول، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،(د ط)، 1982م، ص 161.

2- مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، ص 157.

وانتشارها فسد نقاؤنا الفطري تدريجياً بفعل الذوق والعادات المخادعة"[1].ومن خلال هذه المقالة أراد " روسو" أن يوضح أن تقدم العلوم يساهم في فساد خلاق الإنسان فهي تكمل ظاهر الإنسان لا باطنه.

"**وأنها قيم زائفة ومصطنعة ناهيك أن " روسو" لا اضمحلال نفسه أيضا ميز انهيار الإمبراطوريات القديمة في مصر واليونان والقسطنطينية، مؤكد أن هناك قاعدة عامة مفادها أن الحضارات العظيمة تضمحل تحت وطأة تقدمها العلمي والتقني**"[2]. والمقصود بذلك أن "روسو" يستشهد بجملة من الحضارات سقطت وكذا اضمحلت ولم يبقى لها وجود نتيجة سبب واحد حسب " روسو" ألا وهو التقدم والتطور الفكري .

الحقبة التي نمت فيها الملكات الإنسانية ومثلت موقفنا بين البداوة وتراخيها والنشاط المزعج الذي يمليه علينا هيامنا باللذة لا بد أن تعد سد الحقب وأخلدها...أما ما حدث من تقدم ابعد فكان خطوات عديدة اتجهت في الظاهر إلى الارتقاء بالفرد، ولكنها في الواقع قد أحدثت انحطاطا للنوع الإنساني، حيث يقول روسو:" **إن قدرة الإنسان على الارتقاء بنفسه هي مصدر ملكاته الأخرى في ذلك غريزته الاجتماعية التي كانت ذات تأثير قاض على سعادته** "[3]. وهذا يعني أن انتقال الفرد من حالة البداوة إلى التقدم من الظاهر لكن هو سبب فساده وانحطاطه وميله إلى تشكيل مجتمع مع الآخرين هو الذي جعل عقله يرتقي مما أدى به إلى هذا التقدم الذي أصبح قاض على سعادته .

يرى " روسو" " **أن الإنسان الطبيعي ولد حراَ لولا أهوائنا، وحماقتنا، وجنونا، لكان كل شيء حسن، إننا نشتكي من كل الشرور التي تنتاب البشرية، ولكننا نحن الذين صنعنا هذه الشرور، يقول أزيلوا تقدمنا المشئوم، وضلالاتنا، وعيوبنا، أزيلوا عمل**

1- روبرت ووكلر، ص 28.

2- نفسه، ص 30.

3-ج.ب. بيوري، فكرة التقدم، ص 160.

الإنسان فيصطلح كل شيء"[1]. هذا يعني أن التغيير الذي حدث للإنسان الذي حدث للإنسان من حالة الحرية والسعادة التي سادت في الحالة الطبيعية الأولى،سببها هو التقدم الذي يعيشه الفرد.

"في روايته "إلويز الجديدة" التي صدرت 1761م بعد احد رواد الأدب الرومانسي، وقد ضمنها عن علاقة بالطبيعة، وكشفت هذه الرواية مثل نصوص أخرى عن علاقته بالطبيعة، وكان من عشاقها الكبار، فالطبيعة كانت ملجأ له وعزاء، وقد دعا في كتابه إلى العودة إليها حتى يكتسب الإنسان فيها خبراته بالأنسنة"[2].

يعني أنه من خلال الطبيعة أستمد " روسو" الرومانسية وذلك لأن أغلب أوقاته كانت في الريف، وهذه الطبيعة الخيرة بعيدة عن كل المخترعات والآلات الحديثة التي تساير التقدم الذي يعتبره سبب تعاسة الإنسان.

" **فالتقدم عند " روسو" يعد مشكلة وخطر يهدد البشرية وليس كهدف أنساني نسعى إلى تحقيقه، كما أن "روسو" يقع في ازدواجية الاعتراف بالتقدم من جهة ورفض نتائجه في مجال القيم من جهة أخرى، قد يرى أنه في الوقت الذي ينمو فيه العقل يندرج نحو الكمال، يتدهور النوع البشري**" [3].

وذلك يعني بأن " روسو" يؤكد بان الإنسان ولد حراً، لكنه الأن يعيش في العبودية، وهي ليست نتاجاً لسلطة الكنيسة فحسب، لكنها نتيجة لتزييف الوعي، لذلك لا نستطيع التخلص منها بمزيد من التقدم في الاتجاه نفسه، وإنما ينبغي أن يعود للوراء الماضي "**go back** "إلى الطبيعة بين القيود التقليدية.

---

1 – أندريه كريستون، روسو، حياته، فلسفته، منتخباته، ص 77.

2–دانيال سالناف، روسو معاصرنا بتمزقه وقلقه، مجلة أفاق المستقبل، العدد 15، يوليو، أغسطس، سبتمبر، 2012، ص 83.

3– حسن محمد الكحلاني، فلسفة التقدم، دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ، ص 35.

كان الأحرى "بروسو" عندما ينتقد الوضع الفاسد والذي ساد فيه التسلط والقهر والاستغلال أن يدعوا لتجاوزه بالاندفاع للأمام، وليس الهروب إلى الخلف .

الفصل الثاني :

الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية

المباحث :

- **المبحث الأول** : خصائص الحالة الطبيعية
- **المبحث الثاني**: مميزات الحالة المدنية وعلاقتها بالتقدم

تمهيد:

إن وصول الانسان إلى حالته الراهنة لم يكن دفعة واحدة، بل مر بعدة مراحل شكلت حلقات تطوره وتطور حياته وقد نلاحظ ذلك من خلال استقرائنا للتاريخ البشري نفسه، من خلال انتقاله من حالة لأخرى، من حالته الأولى الفطرية إلى حالته الحالية المصطنعة، من حالة بدائية اتسمت بالبراءة والكبرياء إلى حالة حضرية اتسمت بالتقدم والاستبداد، وقد استهوت هذه المراحل الكثير من الفلاسفة والمفكرين للبحث، ومن هؤلاء الفيلسوف الفرنسي" جان جاك روسو" الذي أولى أهمية بالغة وهما الحالة الطبيعية والحالة المدنية .

المبحث الأول: خصائص الحالة الطبيعية

ينطلق "روسو" في فلسفته الاجتماعية من مقولته الطبيعية التي هي سابقة عن وجود القوانين والدولة، وبذلك يكون "روسو" قد سار على خطى" هوبز" و"لوك" ويعتبر أن الإنسان قبل وجوده في المجتمع المنظم كان يعيش في حالة فطرية، يتساوى فيها جميع الأفراد وكان للإنسان مجموعة من المشاعر والحوافز التي تحقق لهم السعادة، وتتسم هذه الحالة الطبيعية بالمساواة والحرية، أي لا يوجد أي تفاوت بين الناس فالإنسان في الحالة الطبيعية طاهر وشريف وخير، فهو يتحلى بالفضيلة والعدل وحب الغير .

أولاً: علاقة الانسان بالطبيعة:

أولى الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" الكثير من الاهتمام والتركيز لفهم صفات الإنسان التي يتميز بها، لذا يرى " روسو" بأنه يجب على كل فيلسوف أو مفكر دراسة الإنسان دراسة عميقة جوهرية وليست سطحية، وهذا ما أخضع روسو لتتبع تاريخ الجنس البشري ليتمكن الإنسان من معرفة نفسه.

حيث اعتبر هذا الأخير أن دراسة الإنسان أمر صعب، وذلك للتغيرات التي مست الإنسان مما جعله في دوامة بين حقيقة الإنسان الطبيعية الأصلية أو المكتسبة عبر الأزمنة، وكان القصد بذلك هنا الجانب الأخلاقي والروحي للإنسان وليس الجانب الفيزيولوجي، موضحاً ذلك في قوله : " **لا تتبع نظام حال الانسان الطبيعية من خلال شؤونها المتعاقب مهما كان من المهم أن ينظر إليها منذ أصلها أي في الجنين الأول للنوع، ولا أقف عند البحث في النظام الحيواني، فلا أسأل –كما يرى روسو– هل كانت أظافره طويلة وهل كان أشعر كالدب وهو يمشي على أربع أرجل** " [1].

وينطلق "جان جاك روسو" في تفسيره وتحليله للحالة الطبيعية من الانسان إذ يرى بأنه طيب بطبعه، وأن الحالة الطبيعية الأولى يسودها الخير والسعادة، فهي تتميز بالبساطة، وصلاح الانسان يكون مرتبط بالطبيعة وفساده يكون بالابتعاد عنها وانتقاله إلى المدنية، ويقع في أحضان الفساد والآثام.

انتقد "روسو" "توماس هوبز" في قوله بأن الطبيعة هي حالة حرب وصراع تتميز بالطمع والجشع، وبحسب رأيه هاتين العاطفين ينشئهما الاجتماع، ويقول روسو في هذا : " **فالإنسان الطبيعي كان مطابقاً في كل زمن لما هو عليه أن كان يمشي على رجلين ويستعمل يديه كما نستعمل نحن يدينا اليوم، ووجه أنظاره إلى جميع أنحاء الطبيعة،**

1– جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 33.

وقاس السماء الواسعة بعينه " [1].ونستشف من هذا بأن الإنسان ما هو إلا كائن حي بسيط، لا هو بصالح ولا هو بشرير لا يعرف لا علوم ولا تقدم فقد عاش الإنسان في استقرار منعزلاً عن غيره، فالإنسان البدائي لم يعرف النزاع و الحروب والطمع والجشع، بل كان سعيداً لأن حاجاته قليلة .

يقول "روسو" : " **إن الحالة الطبيعية، وهي الحالة التي حرصنا فيها على حفظ بقائنا هو الأقل إضرارا بحفظ بقاء غيرنا، فإن هذه الحالة هي بالنتيجة الأصلح للسلام والأكثر ملائمة للجنس البشري، بيد أن هوبز يذهب خلاف ذلك ففي باب الحرص على حفظ البقاء للإنسان المتوحش، يقحم جزافا الحاجة لإشباع كثير من الأهواء التي أنشأها المجتمع** "[2].معنى هذا أن إنسان الطبيعة يشعر بالسعادة شعورا منه بحق في الحياة، وهذا ما توفره له الطبيعة بعيدا عن كل تزييف.

وارتبط الانسان بالطبيعة لارتباط الطفل بالأم ويقول روسو في هذا: " **أيتها الطبيعة أنت يا أماه ها أنا ذا بين يديك أتلقى الحب والرعاية** " [3]. والمقصود بهذا أن الطبيعة كالأم ذات صدر رحب تستقبل الانسان بكل حب وعناية، وأن الحالة الطبيعية يسودها الخير والسعادة والفضيلة، وأن الانسان البدائي هو وليد الحالة الطبيعية .

الانسان حسب رأي روسو يتعرف على نفسه وتاريخه من خلال الطبيعة حيث يقول :" **حكم صوت الطبيعة لأن الطبيعة لا تكذب مطلقاً وكل ما يأتي من الطبيعة يكون**

1- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 33.

2 - جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وأسسه بين البشر، تر، بولس غانم، ط1، بيروت، 2009، ص 99.

3-جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، تر، نظمي لوقا، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص40.

صادقاً " [1]، ويعني هذا أن الطبيعة تقول الصدق من خلالها تعرف تاريخنا وجذورنا، فالطبيعة خيرة وطيبة وهذا يقتضي بالضرورة طيبة الانسان فهو يتمتع بالفضيلة والسعادة.

الحالة الطبيعية برأي روسو: " **هي الحالة التي حرصنا فيها على حفظ بقائنا هو الاقل ضراراً بحفظ بقاء غيرنا، إن هذه الحالة هي بالنتيجة الأصلح للسلام والأكثر ملائمة للجنس البشري** " [2]، ونستشف من هذا أن الحالة الطبيعية هي حالة منعدمة من الصراعات والحروب والنزعات في حالة سلم وطمأنينة، وأن فرد مكتفي بالحفاظ على بقائه دون الرغبة في الاعتداء على غيره من أبناء جنسه وهذا هو المطلوب أي احلال السلام بين الجنس البشري .

أن الإنسان الأول أي إنسان الطبيعة يعمل على الحفاظ على بقائه، إذ هي الحالة التي يعيش فيها سعيدا في أمن وسلام، يقول روسو: " **يبدو لأول وهلة أن الناس وهم في حالة الطبيعة لم يكونوا صلاحا ولا فاسدين، ولا كان لهم لا فضائل ولا رذائل إلا إذا استعملنا هاتين الكلمتين بمعنى طبيعي، وفي هذه الحال يجب أن يدعي الأكثر فضيلة، من كان أقله مقاوما لاندفاعات الطبيعة** "[3] .

و يضيف كذلك " **لا شك في أننا نريد أن نكون سعداء، لكننا نريد أيضا، أن يكون الآخرون سعداء حينما تتحول سعادتهم، وإن كانت سعادتهم لا تنزع شيئا من سعادتنا، فإنها تزيدها، ثم إننا نشفق من طبعنا على الأبرياء والتعساء وحينما نشاهد آلامهم، نتألم لهم ومعهم، لا يمكن للإنسان مهما تصلب قلبه أن يفقد كل عاطفة ورحمة وكل شعور إنساني** "[4]. معنى هذا أن الإنسان يسعى إلى تحقيق سعادته لكن ليس

1–يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 202.

2– جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وأسسه بين البشر، ص 99.

3 – جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 70,71.

4 – نقلا عن، أندريه كريستون، روسو ،حياته، فلسفته، منتخباته، ص 147.

على حساب الغير وهذا ما حدده روسو في فكرة الشفقة، إذ أن الفرد لا تغيب ولا تنتزع إنسانيته فهي متجذرة فيه .

فالإنسان حسب روسو يعيش في عزلة عن غيره فهو يتمتع بالطبيعة و الحرية و الفضيلة وهو صاحب احاسيس و مشاعر ويقول روسو في ذلك :" **كان الإنسان المتوحد طيبا تأخذه الشفقة رؤية الموجود الحاس يملك أو يتألم، بالأخص إخوانه في الإنسانية**"[1]. وهذا يعني أن الإنسان يمتاز بمجموعة من الغرائز من بينها الشفقة فهو يتأثر بالألم غيره فالشفقة نابعة من أعماق كل فرد و هي فضيلة إنسانية يمتاز بها الجنس البشري.

يقول "روسو": "**الشفقة في حالة الطبيعة ،هي التي تقوم مقام القانون ،و الأخلاق ،و الفضيلة**"[2] و المقصود بهذا أن طيبة الإنسان و أخلاقه قائمة على غريزة الشفقة التي لا تخالف أبدا و طيبة الأنسان هي أساس نظرية روسو حسبه أن الطبيعة خلقت الإنسان طيبا و سعيدا .

وكذلك من خلال تصور روسو لحالة الطبيعة حيث كان " **اعتقاده أن الإنسان طيب بطبعه، وأن الطبيعة أو الفطرة هي ما جبل عليه الناس من غرائز وإحساسات بمعنى هذا أن الإنسان طيب بطبعه، وأن السعادة ترجع للناس إلى الطبيعة، وهو أن السعادة ترجع لهم إذا هم تركوا نتائج الفكر وما أبدعته من مدينة وحضارة، ورجعوا إلى وحي الطبيعة الأولى وما تدعو إليه من بساطة وسذاجة** "[3] . معنى هذا أن الإنسان في كنف الطبيعة يستطيع أن يحقق سعادته بعيدا عن ما يخلفه الفكر من نتائج حضارية تعود عليه بالسلب .

1 – يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 202.

2 –نجيب المستكاوي ، روسو، حياته، مؤلفاته، غرامياته، دار الشروق، القاهرة،(د ط)، 1989 ،ص55.

3 – محمد هيكل حسن، روسو، حياته وكتبه،(د ط) ،(د ت)، ص 05.

ويمكن الحديث كذلك على أن " **إنسان الطبيعة مستقل بوجوده عما سواه، فلا مجال للمقارنة بينه وبين أشباهه من البشر ولا للتباري معهم فلا هو معجب بالنفس ولا بالنافر مع الغير، وعلى أساس الاعتراف بهذا الظرف من التفاوت، يستنبط روسو مساواة ..في حالة مدنية** "[1]. ومعنى هذا أن حياة الفرد الأولى كانت انعزالية عن وجود الغير معه، مما يجعله يعيش حياة بسيطة خالية من التكيف والمنافسة مع الآخرين فهو في محيط تشكل ذاته هي الكل لا وجود للغير ما يجعله يتمتع بجميع حقوقه .

يتضح لنا أن حياة الطبيعة هي الحياة الفطرية الأولى للإنسان قبل أن يؤسس مجتمع مدني، حيث ساد السلام والسعادة فيها وهذه صفة الحياة سبب روح الخير الكامن في الطبيعة البشرية .

ثانياً: الحق الطبيعي للإنسان

إن الحق مفهوم يعبر عن العدل والقانون و المساواة في مقابل الظلم والعنف و فكرة الحق الطبيعي أو القانون الطبيعي فكرة لازمت كفاح الإنسان من أجل الوصول إلى مجتمع فاضل وعادل فقد ارتبط مفهوم الحق بالإنسان من حيث هو إنسان ومن حيث هو فرد في جماعة ما.

وفي هذا الصدد يقول "جان جاك روسو:" **إن حالة الطبيعة تتسم بمساواة فعلية بين الأفراد إلى درجة أن التفاوت بينهم يكاد يكون معدوما، والسبب في ذلك يعود إلى أن هذه الحالة تنفي الوجود فوارق بين الأفراد أو عدم أهميتها إن وجدت، مما يجعل استعباد فرد لآخر مستحيلا، إنها حالة سعادة وسلم واطمئنان خالية من أي صراع، لكن هذه الحالة تتسم بالبساطة والعزلة، لا نعني أنها حالة غير اجتماعية، وإنها هي فقط**

1 – جون جاك روسو، العقد الإجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر، عبد العزيز لبيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 2001، ص42.

غير سياسية، كان الإنسان فيها يتمتع بحقوق تضمن له العيش في كنف السلم والطمأنينة وتسمى هذه الحقوق حقوق طبيعية" [1].

وتعددت الأبحاث في مسألة الحقوق الطبيعية و طبيعتها، و يرجع "روسو" أمر صعوبة تحديد مفهوم الحقوق الطبيعية إلى صعوبة فهم طبيعة الإنسان نفسه، و بما أن الحق مرتبط بالإنسان فروسو يقر بتمتع الإنسان في الحالة الطبيعية بمجموعة من الحقوق كالحق في الحياة و الحق في المساواة، في الحرية ومن الواضح أن روسو اتفق في حق الحياة مع كل من "هوبز" و" لوك" فلاسفة " العقد الاجتماعي" حيث يقول "روسو" في هذا: "**إن أول قوانين الإنسان هو قانون محافظته على بقاء ذاته**"[2] وهذا يعني إن إنسان المرحلة الطبيعية لا يؤدي نفسه و لا غيره. فغريزة الشفقة فطرية في الإنسان فهو يتعاطف مع غيره إدا رآه يتألم، الأنسان لا يمكن إلحاق الشر بأخيه الإنسان، و حق الحياة ملازم للإنسان في كل مكان و زمان، ففكرة الحق الطبيعي متصلة بطبيعة الإنسان.

حق الحياة للإنسان أمر ضروري و على الجميع الحفاظ عليها وفي هدا الأمر يقول روسو: " **من الواضح عدم دور حق قتل المغلوبين المزعوم هذا في حال الحرب قطعا**"[3] ،ونستشف من هذا أن الإنسان مهما كان في حال واع و حرب لا يستطيع قتل أخيه الإنسان أي احترام حق حياة الإنسان فالحرب لا تمنح حق ضروري لنزع حياة الغير.

في نظر روسو الحالة الطبيعية هي أرقى الحالات وأحسنها بحيث أن الأفراد يسودهم التساوي ولا تحتوي هذه الحالة على نزاع، وقد كانت تضم حقوق تضمن حماية حياة الفرد ليعيش في أمان لقول "روسو": " **إن فكرة الحق لا سيما فكرة الحق الطبيعي،**

1 – مختار عريب، الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، ص 160.

2–جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر،ص57

3–جان جاك روسو، العقد الإجتماعي، ص33.

فكرتان متصلتان بطبيعة الإنسان، لذلك وجب تستنبط مبادئ هذا العلم من طبيعة الإنسان عينها، ومن كونه، ومن حالته " [1]. معنى هذا الحق الطبيعي وجد مع إنسان الطبيعة فهو متأصل فيه وجب أن ينطبق معه .

" **وتكلم بعضهم الآخر عن حقهم الطبيعي الذي لكل إنسان بأن يحفظ ماله، ولكنهم لم يبينوا ما يعنونه بكلمة ماذا، إذ بادروا أن لا يمنح الأقوى سلطة على الأضعف، سارعوا بإنشاء الحكم، دون أن يعملوا الرأي في زمان الذي لابد من مروره قبل أن يوجد معنى سلطة وحكومة بين الناس، وفي الأخير لما كان جميعهم يتحدثون عن الحاجة والجشع...،سببه أنهم نقلوا إلى الحالة الطبيعية، ما كانوا قد حصلوه داخل المجتمع من أفكار...،والحال أنهم يرسمون سورة الإنسان المدني**"[2].و هذا يعني أنه في الحالة الطبيعية كان الحق الطبيعي ممنوح لكل إنسان في حياته بالتساوي .

أ-الحرية :

يرى روسو أن الإنسان خير بطبعه، وأن حياته الفطرية كانت تملئها السعادة و الطمأنينة و الهناء ،لأنها كانت قائمة على الحرية و المساواة ،و للإنسان أيضا حق الحرية ومن الواجب التمتع بها، إذ تعتبر "**الحرية أشرف خصائص الإنسان ،فإنه لعد تشويها للطبيعة و انحطاطا في مستوى البهائم عبيد للغرائز ،و إهانة لبارئ الوجود ،أن يتنازل هذا الإنسان، دون تحفظ ،عن أثمن نعم ربه لكي يطيع سيدا ،ضاربا أحمق ...** "[3]و المقصود بهذا أن الحرية صفة جوهرية للإنسان، فالإنسان ولد حرا بالفطرة كما أنها حق يتمتع به الجنس البشري في الحالة الطبيعية. و الحرية هي قدرة الإنسان في تصرف بأفعاله و حياته و تعتبر سلوك إنساني.

1 – جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت في أسسه بين البشر، ص 55.

2 – نفسه، ص 66.

3 –جان جاك روسو ،أصل التفاوت بين الناس، ص117.

يقول "روسو" أيضا:" **الحرية المشتركة هي نتيجة طبيعة الإنسان وأما شرعة الإنسان الأولى الحرص على بقائه و بالذات.**"[1] أي أن القانون الأول للإنسان هو الحفاظ على بقائه وواجبه تجاه نفسه فالإنسان يولد حرا لا يحق لأي كان التدخل في حريته و محاولة القضاء عليها فهي حق طبيعي يحافظ عليها الفرد ولا يمكنه التنازل عليه ومن حقه الطبيعي التمتع بكامل حريته و التصرف كما يحلو له ويمليه عليه ضميره.

يقول "روسو" في هذا :"**وتنزل الإنسان عن حريته يعني تنزلا عن صفة الإنسان فيه، وتنزلا عن الحقوق الإنسانية من واجباته أيضا، ولا تعويض يمكن أن يتنزل عن كل شيء و تنزل كهذا يناقض طبيعة الإنسان، ونزع كل حرية من إرادة الإنسان، و نزع كل أدب من أعماله**"[2]. والمقصود بذلك أن الإنسان إذا تخلى و تنازل عن حريته فقد انسلخ من إنسانيته و فقد حقوقه الطبيعية التي ولدت معه ولازمته، فالحرية تعد هبة طبيعية جوهرية ومن حق كل فرد التمتع بها، ولا يمكن له أن يجرد نفسه منها وإن حصل أن تنازل عنها فقد ذل نفسه ووهب ماله من حقه لغيره.

"**الانسان وان كان يتمتع في الحالة الطبيعية بحرية طبيعية ،فانه في الحالة المدنية يفقدها و يكتسب حرية مدنية، و فقدانها لما هو من أجل تحقيق حرية افضل منها ،لان الحرية الطبيعية ليس لها حدود بالإرادة العامة و لذلك كما يقول روسو كان لزاما علينا، أن نفرق بين الحرية الطبيعية والحرية المدنية أو السياسية** "[3].

وحتى القوانين الطبيعية لا تسلب الإنسان حريته وما هو حق له، يبقى كذلك ويتبين لنا ذلك في هذا القول : " **إن القانون الطبيعي لا يمكن أن يكون هو الذي كبل الإنسان بالأغلال لأن الأسرة (وهي أقدم مجتمع طبيعي) تمثل مجتمعاً حراً يبقى فيه**

1-جان جاك روسو، العقد الإجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ص80.

2-نفسه ، ص32.

3- إسماعي زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، ص 227.

الأبناء أحرار غير مستعبدين ويحتفظون لأنفسهم بحق مغادرتها وأن شاء بعد البلوغ، ولكن اختاروا أن ينظموا علاقاتهم لبعضهم البعض وفق عقد اجتماعي ضمني فالأسرة هي النموذج الأول للمجتمعات السياسية، حيث يشكل الزعيم صورة الأب والشعب صورة الأولاد، ولمّا كانوا جميعهم مولودين متساوين وأحرار فإنهم لا يتنازلون إلا من أجل منفعتهم"[1]، ومن خلال هذا يتضح أن "روسو" انطلق من الأسرة كنموذج أول وأقدم لحالة الطبيعة الأولى والتي كانت تحافظ على حرية الأبناء وعدم استعبادهم وتقوم على تراضي الأطراف فيها باختبارهم البقاء أو المغادرة إن شاءوا، وأن الأفراد لا يتنازلون عن حريتهم بإرادتهم ولأجل منفعتهم .

"**ولذلك لم يكن تمييز نوع الحيوان قائماً على الإدراك بقدر ما هو قائم على كون الإنسان عاملا حر التصرف، والطبيعة أمرة على الحيوان، والحيوان يطيعها، والإنسان يحس هذا الانفعال نفسه، ولكنه يعرف نفسه حراً في الإذعان والمقاومة**"[2]، ما يمكن استنتاجه من هذا القول أن الشيء الذي يميز الانسان عن الحيوان ويشكل فارقا جوهريا بينهما، هو التمتع والشعور بالحرية، والعيش وفقها، وليس التمييز هو الادراك، وذلك راجع حسب روسو الى أن الطبيعة تفرض سيادتها وسلطتها وسيطرتها على الحيوان، حيث يعيش وفق أوامرها وقوانينها، أما الإنسان فيشعر بهذه السلطة ولكنه لا يتقبلها بل يسعى الى مقاومتها والقضاء على سيطرتها، وبالتالي فهو يشعر بالحرية أثناء فعل المقاومة .

ويضيف روسو معبراً على ضرورة ومعنى وجود الحرية في حياة الفرد، وفي كيفية اعتبارها حق طبيعي وهبه الله للفرد لا يجب التنازل عنه" **بينما أن الحرية، إذ هي هبة من الطبيعة قد وهبت لهم بصفة كونهم بشراً، فإن ابائهم ليس لهم الحق ما بأن**

1- محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، رؤية اسلامية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2010، ص 180.
2- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 49.

يجردوهم منها"، [1]معنى هذا أن صفة الحرية تبقى صفة جوهرية وجب الحفاظ عنها إذا هي حق طبيعي في حياته الفردية الإنسانية .

ب-المساواة:

إضافة إلى حق الحياة وحق الحرية نلتمس حقّا آخر والمتمثل في المساواة، فالمرحلة الطبيعية تميزت بتساوي الأفراد، فالإنسان مساوي لأخيه الإنسان في كل شيء فالعدل أساس المساواة بين البشر، وفيلسوفنا الفرنسي "جان جاك روسو" نادى في كتاباته مبدأ المساواة وهذه الأخيرة حسبه هي مساواة أخلاقية، فالمساواة العامة في رأيه غير محققة وذلك للفوارق الاجتماعية بين الناس القوة والضعف والذكاء والغباء والغني والفقر... الخ.

إذ أن الطبيعة هي التي فرضت المساواة على الناس أجمعين بوصفهم أفراد، هذا ما عبرت عنها النظرة الرواقية، " **فما يوجد عند الرواقين من ولدوا عبيدا ومن ولدوا احرار فليس هناك عبيد للطبيعة واحرار بالطبيعة، بل كل بني البشر متساوون يشتركون في المواهب والحكمة، فلا ينكر الذكاء والعقل، إلا على الحيوان أما بني الإنسان فهم جميعاً أحرار متساوون**"[2].

يُرجع "روسو" عدم المساواة بين البشر إلى ما يسمى بالملكية الخاصة حسب قول "روسو" : " **إنّ أول من سور أرضاً وقال هذا لي فوجد أناساً لهم من السذاجة ما يكفي لكي يصدقوه** "[3]، وهذا يعني أنّ الملكية الخاصة أدت إلى سيطرة الإنسان على أخيه الإنسان حيث أصبح صاحب الأرض عبدا ومن ليست له أرض سيداً لها، وهنا تجلت مظاهر التفاوت بين البشر فغرور وطمع وشجع المالك للأراضي جعله يتمادى على أخيه

1- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 119.

2- ابراهيم دسوقي اباضة، عبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، دار النجاح، بيروت، (د ط)، 1973م، ص 82.

3- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 57.

الإنسان يقول "روسو":" **إن تكوين جميع الشرور كان أولى نتائج التملك** " [1]، ونستشف من هذا أنّ بداية بلوغ الإنسان لأكبر عدد من الممتلكات والثروات جعت منه منسلخاً ومتخلياً عن أخلاقه متجهاً إلى طريق الانحراف والسوء، فقد أصبح الإنسان أكثر طمعاً وجشعاً .

كما كان للأدب والرقص والغناء أيضاً دوراً في التفاوت بين البشر إذ يقول "روسو" في هذا قبيل : " **فأصبح من يغني ويرقص أحسن من غيره، ومن هو أعظم جمالاً أو قوة، أو مهارة أو فصاحة من سواه أكثر اعتبارا، وكان هذا أول خطوة نحو التفاوت ونحو العيب في قوت واحد**" [2]، والمقصود هذا أنّ الإنسان يكتسب صفات الحسد والطمع والبغض والغيرة من آخيه الإنسان، وذلك لنجاح حققه غيره أو شهرة أكتسبه التقدير والأموال فالحسد والغيرة أدت إلى انشقاق العلاقات بين البشر.

"**إن المساواة تعني إعتدالا في الثروات والتأثير في جانب الكبار، واعتدالا في الشح والطماع في جانب الصغار، لأنه قد يحدث أن يجعل الانسان عبدا للآخر، ولكن تلك العلاقة ليست هبة بل إنها بيعة، وهي أشر الأضرار التي تلحق بالإنسان، وهي أن يبيع نفسه، ومن هنا وجب أن تتغير صفات الإنسان المختلفة، عن الصفات التي كانوا يتمتعون بها في المرحلة الطبيعية، فإذا كان الإنسان في تلك المرحلة الطبيعة يتمتع بالحرية كان فيها هو القاضي الوحيد** "[3]، معنى هذا أن روسو يبرز مدى أهمية وجود وقيام المساواة في المجتمعات، في أنها تمثل العدل في جميع مجالات الحياة، ذلك لأن عدم وجود وتوفر المساواة بين الأفراد، ينجر عن ذلك ويسبب تفاوت مما يشيع وينشر كل أشكال الظلم والإستبداد.

1- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس ، ص 49.

2- نفسه ، ص 62.

3- إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، ص 228.

ومن هنا فإن المساواة لا تقل أهمية عن الحرية لديه، وهما أمران ضروريان، "**فالبحث عن ما يتألف منه بالضبط الخير الأعظم من للجميع، الذي يجب أن يكون غاية لكل تشريع، وجدنا أن مرده الى غرضين أساسين هما: الحرية والمساواة**"[1] .

إن الخير الاعظم بحسب جون جاك روسو يتطلب وجود أمرين هامين وأساسيين هما الحرية والمساواة، وذلك أن أي تشريع سياسي أو اجتماعي يجب أن يكون هدفه تحقيق الخير العام الذين ينعكس على جميع أفراد المجتمع بالإيجاب مما يحفظ الصفات الجوهرية للطبيعة البشرية .

1-جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مباديء القانون السياسي، ص 72.

المبحث الثاني: مميزات الحالة المدنية وعلاقتها بالتقدم

يرى "روسو" أنّ الحالة الطبيعية هي حالة ساد فيها الخير والاستقرار، إلاّ أن هذه المرحلة عرفت سكون وركود، فالإنسان لم يغير من حياته شيء ولا في نمط عيشه فهذه المرحلة اتسمت بالبراءة والتخلف، فبالرغم من امتلاك الفرد القوة الجسدية فهو لم يخطو خطوة واحدة للأمام، لذا اضطر الإنسان للانتقال من حالة الطبيعة إلى المجتمع المدني وذلك باستعمال قوته وعقله فاكتساب القوة في حالته الأولى دون استعمالها جعلت الإنسانية في حالة ركود وجمود لآلاف السنين، فكان لابّد من تقدم البشرية وتغير نمط وأسلوب حياتها عن طريق انتقال الإنسان من حالة القوة إلى حالة الفعل.

أولاً: بوادر وأسباب الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية

نظرا إلى الظروف المختلفة و العوامل التي كانت هي الأخرى وازع ضروري في تغيير حياة الإنسان و انتقاله من مرحلة إلى أخرى مواكبا التطور الحضاري وصولا إلى ما هو عليه الآن في وقتنا الراهن.

"**أدى الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية إلى تغيير في الإنسان جدير بالذكر كثيراً، وذلك بإحلاله العدل محل الغريزة في سيره ومنح أفعاله أدباً كان يعوزها سابقاً**"[1]، والمقصود بذلك أن الإنسان خلال انتقاله من مرحلة الطبيعية التي كانت تتسم بالبراءة والكبرياء إلى المرحلة المدينة من مرحلة بدائية عاشها الفرد منعزلاً عن غيره متحلي بصفات وحشية إلى تغيير في حياته أثناء انتقاله إلى حياة الثقافة والحضارة إلى مجتمع متطور ومتقدم مكتسباً فيها الإنسان آداباً جديدة وصفات أخلاقية اجتماعية، وكان للإنسان أسباب قادته إلى الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، وهذه الأسباب حسب رأي "روسو" في أسباب طبيعية حيث يقول في هذا الصدد : " **وكان الجنس البشري كلمّا ازداد انتشارا، ازدادت المتاعب مع الناس، فاختلاف الأرضي و المناخات والفصول، اضطرهم إلى تبديل طريقة عيشهم، ورب سنين مجدية، وفصول شتاء طويلة قاسية، وفصول صيف محرقة أتت على الأخضر واليابس، فألجأتهم إلى التماس وسائل جديدة للعيش**" [2]، والمقصود بهذا أن الجفاف وسوء المناخ أثر على الارض والمحاصيل، فالصيف قاحل والشتاء بارد وقاسي.

إن الظروف دفعت بالإنسان للعمل والتخمين في تغيير طبيعة عيشه والبحث عن وسائل جديدة تساعده على تصدي الصعوبات، فبدأ في بناء أكواخ وتغيير لباسه فصنع من جلود الحيوانات لباس يقيه من البرد، ويقول روسو أيضاً: " **واضطرتهم الفيضانات**

1- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادي القانون السياسي، ص 50.

2- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، ص 118-119.

والزلازل إلى الاجتماع بصفة مستديمة، فاخترعوا اللغة وغيروا السلوك" [1]، ونستشف من هذا أن العوامل الطبيعية جعلت الإنسان يفكر في تغيير حياته فصنع الأكواخ بدلاً من النوم في العراء والكهوف، وأصبحت المرأة تعتاد على المكوث في الأكواخ ورعاية الأولاد والرجل يخرج للبحث عن القوت وهكذا بدأ الإنسان في تكوين الأسرة وتوحيدها ما اكتشف الإنسان اشتعال النار واستخدامها وكان الفرد في حاجة إلى مساعدة من غيره للتعاون نلجأ إلى اختراع اللغة للتخاطب والتواصل مع بعضهم البعض وكان النمو السكاني حافز للبشرية أيضاً على التقدم .

كما أن الجوع أيضاً كان سبباً في انتقال الإنسان من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية فانعدام الطعام أدى بالإنسان إلى العمل واستعمال قوته في تلبية حاجياته حيث يقول" روسو" في هذا الصدد : " **فعلى شواطئ البحر والأنهار اخترعوا القوارب والصّنارة وأصبحوا ميادين وأكلة أسماك، وفي الغابات صنعوا لأنفسهم أقواسا ونبالاً وأصبحوا قناصين وصيادين ومحاربين**" [2]، وهذا يعني أن الأفراد متمركزون على الشواطئ صنعوا صّنارة صيد وأصبحوا صيادي أسماك، أمّا المقيمون في الغابات فاخترعوا الأقواس والسهام ومارسوا الصيد البريء، كما ساهم اكتشافهم للنار في مساعدتهم على الطهي اللحوم بدلاً من أكلها نيئة، وهكذا أصبح الإنسان يلبي حاجياته ويتعاون مع غيره لتحقيق هدف محدد في الحياة، وبهذا تخلى الإنسان على حيوانيته ودخل حيز الاجتماع البشري وهنا بدأ في مرحلة التقدم .

وحسب رأي أن الجنس البشري بدأ في الانتقال من حالة التخلف إلى حالة التقدم تدريجياً وغير الإنسان طرق عيشه من خلال استخدام عقله والتفكير للعمل والحصول على نتائج أفضل" ويقول": روسو": " **كانت الصناعة المعدنية والزراعة الفنيين الذين**

1- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 203.

2- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت و أسسه بين البشر، ص 119.

أدى اختراعهما إلى الثورة الكبيرة-التقدم"[1]، ونستشف من ذلك أن البشر تمكنوا من اكتشاف المعادن ومعرفة الحديد واستعماله تفطنوا إلى الأشجار والنباتات واستعملوهم، فالزراعة متواجدة منذ زمن الطويل بالنسبة للإنسان ومع الاكتشافات المتقدمة استطاعوا زرع القمح و البقوليات، لكن سرعان ما توجدت الصناعة قلّ عمال الزراعة وهنا أصبح للفرد ميولات في العمل وتعدد المهما بين الزراعة والصناعة أصبح ضروري، فالزراعة تحتاج إلى وسائل من الحديد لخدمة الأرض وطحن القمح، والصناعة أيضاً تستند للزراعة وبهذا يعمل الإنسان على تلبية حاجياتهم بطرق أكثر تطوراً من التي كان يستعملها في حالته الطبيعية البدائية .

ويقول "روسو" أيضاُ: "**ومن ثمة كان اختراع الصناعات الأخرى أمراً ضرورياً لإكراه الجنس البشري على تعاطي عن الزراعة، ومنذ دعت الضرورة إلى وجود اناس لصهر الحديد وطرقه، وجب وجود آخرين لتوفير الغذاء لهم**" [2]، والمقصود بذلك أن الصناعة توسعت وتعددت استعمالاتها وتطورت وأصبح الإنسان في تقدم مستمر، فبظهور الصناعة والزراعة اكتشف الناس مزايا تقسيم العمل وتبادل المصالح كما أعتبر "روسو" العمل وسيلة للإعطاء الإنسان الحق فيها أنتجه وفي امتلاك الأشياء، فترتب عن ذلك الملكية الفردية للأراضي من خلال زراعتها وتقسيمها حيث ترتب عن العمل والملكية ظهور تفاوت بين الناس غير التفاوت الطبيعي المتعارف بل يكون أخلاقي وذلك في ظهور طبقات اجتماعية متفاوتة في مراتب الغنى والثراء

كما يرى "روسو" أيضاً أن الحالة المدنية هي حالة تقدم وحضارة البشرية، فالإنسان تخلى عزلته وحياته البدائية مواكباً حياة متطورة ومختلفة عن حالته الأولى متغيراً تغييراً جذرياً وفي هذا المنوال يقول "روسو" :"**ومع الناس أصبحوا اقل تجلداً وتحملاً وأنّ**

1- نفسه، ص 127.

2- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، ص 129.

عاطفة الرأفة الطبيعية قد اعتراها بعض الضعف فإن هذه الحقبة، حقبة تقدم المواهب الإنسانية، وهي وسطاً بين بلادة الحال الطبيعية البدائية وحدة نشاط أنانيتنا، فوجب أن تكون أسعد الحقب وأكثرها دواماً"[1]، وهذا يعني أن الخروج الإنسان من حالة الركود والجمود والبدائية والعيش في الغابات متجهاً إلى حالة أفضل منها مكتسباً مهارات جديدة تساعده على تحقيق اهدافه مستعملاً عقله وتفكيره لا اختراع وابتكار وسائل تلبي حاجياته متعاوناً مع غيره في ذلك متبادلاً الأفكار والمهام بداية من تطوير أسلحته وبناء ساكن واختراع اللغة التواصل والخطاب وتطويرها عبر المراحل وصولاً إلى الزراعة والصناعات الأخرى مؤلفين بذلك حياة حضارية .

ويقول "روسو" أيضاً :" **ومن ثمة كان اختراع الصناعات الأخرى أمراً ضرورياً لإكراه الجنس البشري على تعاطي فن الزراعة، ومنذ دعت الضرورة إلى وجود أناس لصهر الحديد وطرقه، وجب آخرين لتوفير الغذاء لهم**" [2]، والمقصود بذلك أن الصناعة توسعت وتعددت استعمالاتها وتطورت وأصبح الإنسان في تقدم مستمر، فبظهور الصناعة والزراعة واكتشف الناس مزايا تقسيم العمل وتبادل المصالح كما أعتبر "روسو" العمل وسيلة لإعطاء الإنسان الحق فيما أنتجه وفي امتلاك الأشياء، فترتب عن ذلك الملكية الفردية للأراضي من خلال زراعتها وتقسيمها حيث ترتب عن العمل والملكية ظهور تفاوت بين الناس غير التفاوت الطبيعي المتعارف بل يكون أخلاقي وذلك في ظهور طبقات اجتماعية متفاوتة في مراتب الغني والثراء .

كما يرى "روسو" أيضاً أن الحالة المدنية في حالة تقدم وحضارة للبشرية، فالإنسان تخلى عن عزلته وحياته البدائية مواكباً حياة متطورة ومختلفة عن حالته الأولى متغيراً تغييرا جذرياً وفي هذا المنوال يقول "روسو" : " **ومع أن الناس أصبحوا أقل تجلداً وتحملاً**

1- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 14.

2-جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، ص 129.

وأن عاطفة الرأفة الطبيعية قد اعتراها بعض الضعف فغن هذه الحقبة، حقبة تقدم المواهب الإنسانية، وهي وسطاً بين ولادة الحال الطبيعية البدائية وحدة نشاط أنانيتنا، فوجب أن تكون أسعد الحقب وأكثرها دواماً" [1]، وهذا يعني أن خروج الإنسان من حالة الركود والجمود والبادئة والعيش في الغابات متجهاً إلى حالة أفضل منها مكتسباً مهارات جديدة تساعده على تحقيق أهدافه مستعملاً عقله وتفكيره لاختراع وابتكار وسائل تلبي حاجياته متعاوناً مع غيرها في ذلك متبادلاً الأفكار والمهام بداية من تطوير أسلحته وبناء مساكن واختراع اللغة والتواصل والخطاب وتطويرها عبر المراحل وصولاً إلى الزراعة والصناعات الأخرى مؤلفين بذلك حياة حضارية .

ثانياً: مظاهر التقدم في الحالة المدنية

أ-الاجتماع البشري كتعبير عن الحالة المدنية:

إن التقدمات الأولى مكنت الإنسان من أن يأتي تقدمات اسرع من سابقتها وفي تلك الثورات التقدمية نشأة الأسر حيث يقول روسو: " **وكان أول نشوء الفؤاد نتيجة وضع جديد جامع في منزل مشترك بين الأزواج والنساء والآباء والأولاد، وقد أدت عادة العيش معاً إلى ظهور أرق ما يعرف عن الناس من مشاعر، أي الحب الزوجي والحب الأبوي، وقد أصبحت كل أسرة مجتمعاً مغيراً**"[2]

ونستشف من هذا أن الانسان بتخليه عن الحياة الأولى بدأ تغيير وضعه بالعيش في أكواخ مع نسائهم والجمع بين الذكر والأنثى تحت سقف واحد فتخلى الرجل والمرأة

1- نفسه، ص 129.

2- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 60.

عن وحشتيهما، واستقرت الزوجة في الكوخ واعتادت عليه وتطورت المشاعر والأحاسيس بين الأنثى والذكر وكانت تلك بدايات نشوء الأسرة وكان الجنس البشري في حاجة لغيره وأصبح يتعامل مع أسر أخرى وكان للنمو البشري حافزاً للتقدم والتطور فكلما زاد عدد الجنس البشري زادت الاحتياجات والرغبات .

حسب رأي "روسو" أن الأخلاق والحقوق لم تكن متواجدة في الحالة الطبيعية وذلك لأن الأنسان منعزل عن غيره متوحداً لا تمته صلة بغيره معتمداً على قوته الجسدية لا يعي معنى الأخلاق والحق، فيقول "روسو" في ذلك : " **فكل ما يمسى الأن حقوقاً وأخلاقاً ويُستمد له سنداً من العقل، هو صناعي تاكسي من حياة الإجتماعية التي هي صناعية كذلك، وليس في حال الطبيعية أخلاق وحقوق مادام الإنسان في تلك الحالة مستغنياً عن الإنسان مقطوع الصلة به** "[1]، وهذا يعني أن الانسان استخدام عقله في تغيير حياته بدائية منعزلة إلى حياة اجتماعية وهذه النقلة أكسبته حقوقاً وأخلاقاً لم يعرفها من قبل ولعزلته وعدم صلته بالأخرين، ومع احتكاك الانسان بأخيه الانسان وتحقيق الاجتماع البشري اصطنع الإنسان حقوقاً وأخلاقاً غيرت سلوكه وتعامله، وبهذا أصبحت الحالة الاجتماعية بالنظر إلى أن الإنسان لا يعود في مستطاعه الاستغناء عن معونة الإنسان بل أصبح أكثر تمسكاً بغيره حاجياته ورغباته .

إن الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية قد شكل اجتماع بشري وفي هذا الصدد يقول "روسو":" **الإنسان المتوحش بعيش دائما داخل نفسه والانسان الاجتماعي يعيش خارجها دائماً، ولا يعرف أن يعيش غلاّ في ركب الآخرين**"[2]، والمقصود بهذا أن المجتمع أمر ضروري ليصبح الإنسان كائناً عاقلاً اجتماعيا وأخلاقيا، ومع حياته الإجتماعية وعيشه مع الآخرين تتغير كل سلوكاته.

1- يوسف كرم، الفلسفة حديثة، ص 206.

2- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 135.

وبهذا فإن الإجتماع البشري أصبح ضروري، والإنسان لا يعيش بمعزل عن غيره فالإنسان الإجتماعي في الحالة المدنية تخلى عن وحشيته و اكتسب أخلاق يسير وفقها ويعتاد بها، ويقول "روسو" أيضاً: " **ومن السهل أن يرى كيف قيام مجتمع واحد جعل قيام جميع المجتمعات الأخرى أمراً ضرورياً، وكيف أنه وجب على بقية الجنس البشري أن تتحد من ناحيتها لمقاومة القوى المتحدة وقد تكاثرت المجتمعات واتسعت**"[1]، وهذا يعني أن الإجتماع البشري أمر ضروري لقيام المجتمعات واتحادها لمقاومة القوى المتحدة والصنف السيطرة والاضطهاد الذي تسببه، فكان لابَّد من إتحاد الجنس البشري وتكاثر المجتمعات واتساعها أوسع نطاق على وجه الأرض وذلك لحماية بعضهم البعض .

فكان بداية التطور التاريخي من تكوين الأسر والحصول على الإستقرار، فالاستقرار في نظر "روسو" سبباً هاماً ومباشراً في التقريب بين الناس وتكوين علاقات وطيدة بينهم .

ب-الملكية :

وما نتج عن التقدم أيضاً ما عرف بالملكية التي كانت أولى خطوات الفساد للجنس البشري إن عرف عن الإجتماع البشري في مرحلة التقدم بأنه من المحاسن والإيجابيات فقد عرف الملكية العكس أي كانت من سلبيات التقدم البشري، فبسبب الملكية الفردية تولدت اللامساواة بين الناس وصراع المصالح، وتزايد الحروب والقتال كما ظهرت الطبيعية والاستبداد .

" **وأخيراً يصل** "روسو" **إلى المرحلة التقدم البشري التي كان يود لو وقفت عندها الإنسانية (المرحلة التي تسبق نشأة الملكية الفردية)، كان الإنسان قد خرج من غفلته البدائية، ولم يحقق بعد تقدمات جد مشؤومة، كان هذا العهد شباب الدنيا بحق، لابد**

1- نفسه، ص 98-69.

أنه كان أسعد أوقاتها وزهرة عمرها " [1]،وهذا يعني أن زراعة الأرض وتقسيمها غير نظرت الإنسان للحالة التي كان فيها أي المرحلة التي سبقت الملكية الفردية ومع ظهورها انقلبت الموازين البشرية، فكانت الملكية عامل سلبي في حالة التقدم، فقد بدأ الإنسان في التنافس على إمتلاك أكبر نصيب في الثروة.

فبداية خروج الإنسان من البدائية كانت بمثابة شباب الحياة البشرية وأسعد اوقاته وسرعان ما تغيرت كفة الميزان للجنس البشري، فبزغ المساوئ، وظهر التنازع والتفاوت بين البشر حول امتلاك الاراضي في حد ذاتها ويقول روسو: " **فكان أقوى الناس ما كان أوفرهم انتاج، وكان اللبق يستفيد من لباقته وكان اللبيب يكتشف وسائل اختصار عمله**"[2]، والمقصود بهذا حسب "روسو" أن التفاوت يظهر وفق الامتيازات التي يتحلى بها الإنسان، فاللا مساواة الطبيعية المتمثلة في الاختلافات الجسدية والعقلية بين الناس كدرجات القوة والذكاء أنتجت التفاوت الأخلاقي، وهنا ظهرت الطبقات الاجتماعية أي والثراء.

إذ "يعتمد روسو المساواة في الملكية الخاصة بين المواطنين ،بحيث يكون كل متعاقد مالكا لأجل إبطال أسباب التنافس"[3]ومعنى هذا أن روسو يسعى إلى تطبيق مبدأ العدل في توزيع الملكية، بناءا على المساواة، مما يجعل كل فرد مالكا لماله ،دون المساس بحق غيره.

ويقول "روسو" أيضاً: " **زالت عنهم المساواة وتخلت فيهم الملكية وأصبح العمل ضرورياً وتحول الغابات الواسعة حقولاً باسمه وجب أن تروي يعرف الناس، فلم تلبث**

1- نجيب المستكاوي، جان جاك روسو، حياته، مؤلفاته، غرامياته، ص 159.
2- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر، ص 130.
3-جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ، ص42.

هذه الحقول أن غبت فيها البؤس والعبودية "[1]، والمقصود بذلك أن تكاثر العلاقات الاجتماعية وتنوع متطلبات الإنسان جعله خاضعاً لغيره بعد أن كان في حالته الاولى(الطبيعية) حراً، فحاجته لغيره جعلته عبداًن وهنا انقسم الناس إلى سادة وعبيد فئة ملكت أكثر من حاجياتها وفئة لا تكاد تحصل على أبسط شروط الحياة فنشأ البؤس والعبودية وانحلت أخلاق الإنسان وساد الفساد في المجتمع البشري وطغى البعض والحقد والتقدم البشري أصبح في حالة انحطاط .

ونستشف ذلك من خلال هذا القول : " **وفي ظل هذه الحالة (المجتمع المدني) يبدأ الأغنياء السيطرة على الفقراء بوسائل مختلفة، وتظهر كنتيجة لذلك مشاعلاً الحقد والكراهية والحسد** " [2]، وهذا يعني ظهور العبودية والفساد الأخلاقي والاجتماعي، وتفشي مسألة الشر في المجتمع المدني نتيجة فساد أخلاق الإنسان وجعله إنساناً مسلوب الإرادة خاضعاً لسيطرة غيره، والمجتمع المدني أسرف عن انتشار الرذائل ونشوب الحروب والصراعات المتكررة بين الناس من أجل التنافس للحصول على أكبر قسط من الممتلكات. ومن المعلول أن روسو مشهور بصرخته في وجه الملكية التي اعتبرها المنعرج الكبير في حياة الفرد لذلك يقول : " **إذ نحن تتبعنا سير التفاوت بين الناس الى الامام في مختلف تطوراته ودوراته، ودنا أولى خطواته كانت يوم قام حق الملكية، وأن الخطوة الثانية يوم أنشأت الحاكيمية ...ففي المرحلة الأولى ظهر الأغنياء والفقراء وفي المرحلة الثانية ظهر الأقوياء والضعفاء** " [3]

ومن خلال هذا فإن الحالة المدنية أو حالة التقدم هي حالة سادها الفساد والرذائل والشرور وهي حالة جعلت من الانسان مغتصباً لأخية الإنسان وحقوقه فانتقال الإنسان من حالته الطبيعية التي تتسم بالبراءة والطمأنينة واكتسابه للشفقة والغرائز الفطرية لم تتبقى

1- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 96.

2- عزة أحمد صيام، تاريخ الفكر الاجتماعي، جامعة بنها، 2012،(د ط)، (د ت)، ص 129.

3- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت بين الناس، ص 124.

حالته الأولى كما هي في النقلة إلى حالة التقدم، فالإنسان لا يصبح خلقياً إلا إذا تطورت ملكاته وسار وفق عقلة لا غرائزه .

الفصل الثالث

الفكر السياسي والتربوي وعلاقته بفكرة التقدم

المباحث:

- **المبحث الأول** : الفكر السياسي في ظل التقدم عند جان جاك روسو
- **المبحث الثاني** : التقدم والفكر التربوي عند روسو

الفصل الثالث: الفكر السياسي والتربوي وعلاقته بفكرة التقدم

إن عملية التقدم لا تحدث بطريقة آلية ومن تلقاء نفسها وإنما تحدث نتيجة تظافر جملة من الشروط والعوامل، وهذا ما تفطن له الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" حيث رأى أنه من جملة العوامل الأكثر تأثيراً في عملية التقدم نجد كل من السياسة والتربية، هذه الأخيرة بوصفها كفيلة لتنشئة وإعداد مواطن صالح فعال ومنتج لكل ما يخدم مجتمعه في سبيل نهضة العصر والسياسة باعتبارها المنظم لحياة الفرد والضابطة له بجملة من قوانينها وتشريعاتها مما يصنع الفساد وانتشار الفوضى، وبناء على ما سبق نحاول الآن تبيان وتوضيح دور كل من السياسة والتربية في الإصلاح في ظل فكرة التقدم .

المبحث الأول: الفكر السياسي عند جان جاك روسو

إن عملية التقدم لا تتم في حالة من الفوضى، تلك التي يشيعها الأفراد لانعدام وجود قوانين تنظم وتنضبط حياتهم وتعمل على توجيه السلوك على نحو سليم وصحيح يساير التقدم والتطور الذي تسلكه الإنسانية، لذلك وجب لزاماً وجود هيئة تكفل بسن هذه المبادئ والقوانين، تحت سلطة سياسية تضع حداً للعنف وإراقة وسفك الدماء وتغمس الأمن والاستقرار، وهذا مالفت انتباه الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" وسعى لتنظيم له، مما جسده في فكرة العقد الاجتماعي وكذا بناء وتأسيس دولة وهذا ما سنوضحه في هذا ما سنوضحه في هذا المبحث مبتدأين بـ:

أولاً: العقد الاجتماعيcontrat socialele

لا يستطيع الإنسان يعيش بمفرده ويحبس نفسه، كما لا يستطيع أن يعيش إلا مع الآخر أو "الغير"، فالإنسان في رأي بعض المفكرين هو حيوان اجتماعي، وهنا تظهر النظرة الخاصة بالفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسو" من خلال فكرة العقد الاجتماعي "**Ducontrat sociale**"[1] حيث ترجع نشأة "العقد الاجتماعي "إلى الصراع الذي نشأ بين الأفراد في الحالة الطبيعية "**فقد أراد روسو أن يقيم تعاقد اجتماعياً يقي الإنسان شرور الحالة المدنية التي انتقل إليها باستخدام عقله، لقد رمى** "روسو" **في البداية إلى الرجوع بالإنسانإلى الحالة الطبيعية الأولى، لكنه تراجع عن ذلك المرمى إلى خطة عملية تهذب الحالة المدنية والحضارة وتعالج مثلها مع الحفاظ على المزايا الحسنة، فالعقد الاجتماعي ليس إلا محاولة الإصلاح الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع حتى يستطيع الإنسان أن يسترجع كل أو بعض الميزات التي كان يتمتع** بها "[2].

وقد أشار الفيلسوف الفرنسي "بوسيه" (1627م-1704م) إلى"**أن من دوافع نشأة العقد الحد من الشهوات التي نقشت في حالة الطبيعة**"[3].

معنى هذا أن مرحلة الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية تفشى من خلالها فساد الحالة الاجتماعية وتنامي البغض والأنانية والقسوة مما دفعه لإيجاد خطة عملية تهذب وتضبط هذه الحالة وهذا من خلال العقد الاجتماعي .

1- العقد الاجتماعي 1762 ، اتفاق يلتزم بمقتضاه شخص وعدة أشخاص اتجاه شخص أو عدة أشخاص بتقديم شيء ما بالقيام بشيء وفي الفلسفة بنحو أخص يقال عقد على مايكون ثنائي الطرف أو متعدد الأطراف، أي ما يتضمن التزامات أو تعاهدات متبادلة، والعقد الاجتماعي حسب روسو، فهو مجموع المواثيق والمواصفات الأساسية التي تتضمنها الحياة في المجتمع ونقيض العقد هو الموقع، أو الموضع، (اندريه لالاند : موسوعة أندريهلالاند الفلسفية، تعريف خليل أحمد، إشراف أحمد عويدات، المجلد 1، منشورات بيروت، ط2، باريس، 2001، ص 224.

2-محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، رؤية إسلامية، ص 180.

3- نقلاًعن: د. فضل الله محمد إسماعيل، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، بستان المعرفة طباعة ونشر وتوزيع الكتب، الإسكندرية، 2006، ص 158.

"**وبهذا فإنها توجد طريقة تتيح لكل إنسان حر أنه يشعر بحريته مجتمعة وبأن حقوقه محترمة وذلك ببناء هذا المجتمع على عقد أو ميثاق اجتماعي، أي على التزام شرعي يتضمن تنازل الفرد عن شخص وعن جميع حقوقه المجتمعة** "[1].

معنى هذا أن العقد الاجتماعي يتيح للفرد التمتع بحريته وكل حقوقه وهذا في ظل الجماعة والكل.

ويعرف "جان جاك روسو" العقد الاجتماعي بأنه "**عبارة عن التزام اجتماعي تم الاتفاق عليه عن طريق الاختيار لا القوة، إذ يوجد مايسمى بقانون الأقوياء في حالة المجتمع، كما أن هذا الالتزام الاجتماعي غير مبني على أية سلطة أبوية طبيعية أو سلطة حاكم والتعليل القانوني الوحيد للالتزام الاجتماعي موجود في اتفاق جميع أعضاء المجتمع، على ضرورة بنائه، وهو اتفاق بين الفرد ونفسه يربط الفرد به نفسه بمحض إرادته**"[2] ، يتضح من هذا أن روسو يبين أن العقد الذي ينادي به هو اتفاق وتنازل اختياري للفرد والحرية الكاملة بالموافقة عليه والخضوع له، إذ أن الجميع يكونوا متساويين، فكل فرد هو جزء من هذا الكل.

إذ لايوجد من يشترك فيه لوحده دون اتحاد الجميع وهذا ما يحقق العدل نجد قول روسو:"**يضع كل واحد منا شخصه وكل قدرته موضع اشتراك تحت الإمرة العليا التي لإرادة العامة**"[3] .معنى هذا أن يسلم الفرد كل ما يملك للإرادة العامة، غذ هو جزء من هذا المجموع الذي هو مجتمعة بكل رضى .

1- اندريه كريستون، روسو، حياته، مؤلفاته، منتخبات، ص 84.

2- إبراهيم دسوقي، تاريخ الفكر السياسي، دار النجاح، بيروت، (د ط)،1973،ص 243- 244.

3-جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ص 94.

فإتحاد الناس –حسب روسو– يقوم على الحرية لأعلى القسر، لأن "**القوة لاتصنع الحق** "[1].

بيد أن الملفت للانتباه في المسألة هو صيغة العقد التي اقترحها "هوبز"، جاء فيها أن العقد هو :"**عقد كل طرف مع طرف الآخر، أبرم بالطريقة التالية: نفترض أن كل واحد كان يقول لآخر: أنني أخول لهذا الرجل أو لهذه المجموعة من الرجال، وأتخلى له عن حقي في حكم نفسي بنفسي بشرط أن تتخلى له أنت أيضاً عن حقك وأن تسمح بكل أعماله بطريقة نفسها**"[2] .

نستشف من هذا أن تنازل الأفراد عن حقوقهم في ظل المصلحة المشتركة غير أن هذا العقد لا يكون الحاكم حسب "هوبز" طرف فيه ،غير أن تصورا كهذا في نظر "روسو" لا يمكن أن يؤسس مجتمع حقيقي وفي حديث "روسو" عن العقد الاجتماعي وتنازل الأفراد عن حقوقهم وحرياتهم، نجد روسو يتساءل بقوله:"**ماذا يكسبون والحال أن تلك الراحة هي بعينها ضرب من ضروب بؤسهم ؟ والمرء يحيا على راحته في غياهب السجون، فهل ذلك كاف ليرى نفسه في طيب العيش** "[3]، من خلال هذه التساؤلات يجيب"روسو" بـ"لا طبعاً" إذ أعتبر أن هذا الكلام عبثي وغير قابل للتصور، إذ أن من خلال العقد يكون الحاكم كذلك طرف فيه ووجب عليه ضمان للأفراد معيشتهم وسعادتهم وخاصة حريتهم.

يفضل "روسو" كذلك فكرة ميلاد العقد الاجتماعي وعن الحاجة إليه من خلال قوله:" **أفترض انتهاء الناس إلى النقطة التي تغلبت عندها العوائق الضارة بسلامتهم في الحال الطبيعية، وذلك عن مقاومة فيها، وعلى القوى التي يمكن كل فرد أن يستعملها**

1– جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ، ص 84.

2–توماس هوبز،الليفاثان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، ص 180.

3–جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ص 85.

للبقاء في هذه الحال، وهنالك لم تقدر هذه الحال الابتدائية على الدوام، وكان الهلاك نصيب الجنس البشري، إذ لم يغير طراز حياته"[1]، وهكذا يتبين أن سمة العقد إيجابية في إتحاد وجمع الأفراد وتشكيل وحدة تعاونية يسهل لهم ظروف الحياة الاجتماعية، وذلك بتغلبهم على جل العقبات .

ويتضح رفض "روسو" للنظام الاجتماعي معين ساد في الفترة التي عاصرها فقد كان هدف فلسفته الكشف وتأسيس نظام اجتماعي وسياسي منظم وهذا ما وضحه في كتابه المشهور العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية (Du contrat social ou principes du Droit politique)

فالأول ما استهل به مؤلفه هذا هو تركيزه على أن الحرية صفة أساسية وفطرية وضرورية تتميز بها الطبيعة الإنسانية والتي بموجبها لا يخضع لأي إنسان آخر حيث نجده يقول : "**يولد الإنسان حراً، ويوجد مقيدا في كل مكان وهو يظن أنه سيد الآخرين، وهو يظل عبداً أكثر منهم** "[2]، يتضح من خلال قوله هذا أنه ينادي بحرية الفرد، وكيف أن الإنسان يولد حراً ولكن يجد نفسه مقيداً بكل النظم السائدة في مجتمعه ومختلف العادات والتقاليد.

ومن هذا يقترح ويقدم روسو بديلا لذلك "**إيجاد شكل من المجتمع يدافع عن شخص كل عضو فيه وعن متاعه ويحميها بكل ما أولى ذلك المجتمع من قوة مجموعه، مجتمع يظل الإنسان فيه رغم اتحاده مع الجميع يطيع نفسه فقط، ويبقى حرا كما كان من قبل...تلك هي المعضلة الأساسية التي يقدم لها العقد الاجتماعي الحل**"[3].

1- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ص 92.

2- نفسه، ص 78.

3- ويل ديورانت، قصة الحضارة، روسو والثورة، ترجمة، فؤاد أندراوس، الجزء1، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 282.

معنى هذا أنه لايكون المجتمع المؤسس مجتمعاً حقيقياً إلا وكل فرد راض عن نفسه متمتع بحريته في ظل هذا الاجتماع، فهذا العقد يسمى بسلطة الحاكم على المحكوم أو يتم تحت ظرف من القوة والضغط بل هو مشاركة مبنية وقائمة على حرية الفرد في وضع حقوقه وحاجياته في ظل الجماعة والكل .

وبهذه الفكرة السابقة وصل "روسو" إلى نتيجة ينفي بها العبودية وهذا من قوله:" **كان حق الاستعباد باطلا، لا لأنه غير مشروع فحسب ونما لأنه غير معقول ولا يعني شيئاً، إن كلمتي عبد وحق متناقضتان**"[1]، نلاحظ من قوله هذا أنه ينفي فكرة العبودية ويعتبره أمر سخيف ولا معنى لها سواء كان هذا بالنسبة للفرد أو المجتمع بأكمله، إذ أن كلمة عبد تناقض الحق، فلايمكن تأسيس العدل وقيام الحق في ظل فكرة العبودية .

إن المجتمع الذي يرمي "جان جاك روسو"إلى تحقيقه، هو ذلك المجتمع الذي يضمن سلامة وحرية كل متعاقد وكذا الحفاظ على ممتلكاته وضرورية في ظل العقد الاجتماعي حيث يقول :"**إن البؤس مشترك وهو الذي يحمل القلوب إلى الإنسانية فكل ارتباط هو في الأصل إطار لعدم الاكتفاء، ولم يكن كل واحد منا بحاجة لغيره، كما حلم أبداً بالاتحاد معهم**"[2].

هذا يعني أن تنازل الأفراد أمر ضروري، لتحقيق تلك الوحدة، وهذا التنازل كفيل بجعل المجتمع متماسكاً وكذا الحاجة الى الغير للتحقيق الاكتفاء وقصارى القول :"**ما يخسره الإنسان بالعقد الاجتماعي هو حريته الطبيعية وحق مطلقاً في كل ما يستهويه، وما يمكنه الوصول إليه وما يريحه فإنما الحرية المدنية وملكية كل ما في حوزته**"[3].

1-جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، ص 90.

2-جان جاك روسو، إميل أو التربية للطفل من المهد إلى الرشد، ص 100.

3- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، ص 75.

من هذا فإن الفرد تصبح وضعيته أفضل بكثير مما كانت عليه من قبل في الحالة الطبيعية، ذلك لأنه يستبدل حالة التوحش بحالة مدنية تحت شعار المصلحة المشتركة ، كلهم إرادة واحدة، ومن هنا يوضح "روسو" بقوله: "**أن اختلاف الأفراد وتعارض مصالحهم هو ما أوجب العقد الاجتماعي ويجدر بنا أن نسلم، بادئ البدء بأنه كلما أشتد عنق الشهوات زادت الحاجة إلى قوانين التي تكبحها**"[1] .

معنى هذا أنه يجعل ويعد هذا العقد الذي نادى به عقدا جوهرياً يجعل من اجتماع البشر مختلفاً، بحيث تصبح المصلحة عامة في ظل الوحدة لتأسيس مجتمع صحيح بعيد عن السيطرة .

وهذا فقد عبر" روسو" عن العقد الاجتماعي بقوله: "**لكيلا يكون صيغة فارغة إذن : يشتمل ضمنا على ذلك العهد الذي يمكنه وحده أن يمنح الآخرين قوة فكل من يأبى الخضوع للإرادة العامة يكره عليه من قبل الهيئة بأسرها وهذا لا يعني غير إلزامه بأن يكون حراً، وذلك أن هذا الشرط إذ يعطى كل مواطن للوطن يضمنه من كل خضوع شخصي، وأن هذا الشرط ينطوي على مفتاح إدارة الآلة السياسية وأنه وحده يجعل العهود المدنية شرعية** "[2].

المقصود من هذا أن كل فرد وجب عليه التنازل عن حقوقه لصالح الجماعة أو الإرادة العامة وليس لأجل الحاكم، وهذا ما يؤسس ويكون مفتاح لدولته وفق نظام اجتماعي عادل، بعيدا عن إذ يعتبر أن انتقال الفرد من حياته الانعزالية إلى تكوين مجتمع مع الآخرين الذي أعقبه بعد ذلك نزاعات واختلافات خاصة من ناحية الملكية أوجب وجود هذا العقد، ما أقر به "جان جاك روسو" حيث:" **يؤكد أن قانوناً واحد يتطلب بطبيعته موافقة اجتماعية وهو : الميثاق بالضبط لأن المجتمع المدني هو العمل الأكثر**

1- جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس ، ص 75

2-جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ص 98.

طواعية في العالم، أن أحد لا يستطيع تحت أي حجة كانت ان يخضع إنساناً آخر بغير رضاه، لأن هذا الأخير ولد حراً وسيد نفسه، أما خارج هذا الميثاق الأصلي، فإن قاعدة الأكثرية ستطبق"[1].

معنى هذا أن حالة الاجتماع الأولى ساد فيها الفوضى والفساد ، وذلك لحب التملك وطغيان الأنانية في نفوس الأفراد لذا تطلب هذا العقد الذي يخضع له الجميع، فالتقدم والتطور الذي تشهده الإنسانية ساهم بدوره في تغير فكر الأفراد ولكي ينهض المجتمع ويتقدم يجب أن يستند على العقد الاجتماعي "**يستبدل الغريزة بالعدالة والفردية بالجماعة وأن يكسب أعماله المنزلة الأخلاقية، وأن يحل الحق محل الشهوة، وألفى الإنسان نفسه–هو الذي لم يكن حتى ذلك الحد ينظر إلى شخصه هو بالذات"**[2].

ومعنى ذلك أن العقد الاجتماعي يجعل الفرد يرسم أهداف مثالية ينبغي للناس التشبث بها، لتحقيق التقدم والتطور، وفكرة العقد تبرز من خلال دعامة المجتمع السياسي، حيث أن مساهمة الناس في حكم أنفسهم وفق إرادة عامة التي يلتزمون بتطبيقها إذهب ثمرة اختيارهم التطوعي والسعي لتحقيق منفعة جمعاء في ظل التطور **laprogression** يكون العقد صيغة فعالة وايجابية، إذ لا يهود أثر التقدم بالسلب على المجتمع عندما يكون كتلة واحدة محقق تكافئاً ومساواة .

ومن خلال هذا يمكن القول عن فلسفة روسو" **أنها لعبت دوراً مرموقاً في مدى انتشار قواعد العقد الاجتماعي، انتشار منقطع النظير، فهو الذي مهد للثورة الفرنسية حيث كان خطباء هذه الثورة وقادتها يستشهدون بفقرات من فلسفته بوصفها انجيلا،**

1– جان جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي، تر، محمد عرب اصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، ص 143، 494.

2–جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ص 99.

وأثره كان في إعلان وثائق حقوق الإنسان والمواطن التي صدرت إبان هذه الثورة" [1]، معنى هذا أن فكرة العقد الاجتماعي نظرا للتقدم والتطور الفكر الإنساني وجب أن يكون ذلك القانون الفاصل من الأفراد .

ويعتبر العقد الاجتماعي كذلك تلك الميزة التي تطبق على أفعال الإنسان حرية أخلاقية، والتي تتمظهر من خلال تطبيقه للمبادئ والالتزام بها، إذ هذه الأخيرة يتشارك فيها جميع الأفراد في إطار المجتمع السياسي يقول "روسو": "**إذ تأسيس شعب ليس بشيء، أقل من تغيير للطبيعة البشرية وتحويل الفرد الذي يشكل بحد ذاته كلا متكاملا ومنعزلا إلى جزء من الكل الكبير يتلقى منه هذا الفرد بشكل ما حياته ووجوده وتبديل لتكوين الإنسان من أجل تقويته** "[2] .

وبهذا فإن تفاقم الفساد الأخلاقي ونمو الأنانية والجشع الناتج عن التقدم والتطور مما زاد في حب السيطرة والامتلاك والفساد الذي صاحب الإنسان وجعل منه يعيش حياة تعيسة، أراد "روسو" من جراء كل هذا وما يعايشه في مجتمعه من استبداد وتسلط وفساد حالة الاجتماعية اصطلاح أخلاق الإنسان وضبطها لذلك ، وهذا ما جسده فيما أسماه بالدولة، واضعاً أساس قيام الدولة الحديثة لتحقيق إنسانية الإنسان من خلال ما يسمى به عقده إنجيل أوربا **crapaluropian**.

ثانياً: الدولة.

إن المتتبع لتاريخ الفكر السياسي يجد ثمة خلاف حول تفسير نشأة الدولة، حيث تأسيس الدولة في نظر "توماس هوبز" بتنازل كافة الأفراد عن حقوقهم الطبيعية تنازلا نهائياً ومطلقاً، حيث فظلوا التخلي عن حريتهم المطلقة مقابل المحافظة على ممتلكاتهم من خلال الدولة في ظل السلطة المطلقة المسندة للحاكم أما "جون لوك" الذي اعتبر قيام

1- فضل الله محمد إسماعيل، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، ص 149.

2- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ، ص 94

الدولة مرهون بقدرتها على توفير وتسخير كل سلطتها لحماية حرية وممتلكات الأفراد بانتقال سلطة تطبيق القانون من الفرد إلى الدولة.

إلا أن لـ "جان جاك روسو" نظرة مختلفة ، إذ يعد الإنسان في نظره محب بطبيعته للعدل والنظام، وأن الحياة الطبيعية الأولى هي التي تحقق السعادة المثلى لما يسود فيها من استقرار وبساطة خالية من التكلف الذي ساهم فيه التقدم والتطور وجب وضع عقد اجتماعي تحت شعار الدولة حيث نجده يصفها بقوله :"**أنها مجموعة أنظمة ومؤسسات تعبر عن إرادة عامة، تحت شعار هيئة سياسية أو دولة، بحيث يكون جميع الأفراد متحدين ومتساوين أمام هذا التعهد، حيث أن الشعب الذي هو خاضع للقوانين يكون هو وضعها**"[1].

إذ يدعو روسو لقيام حكم نخبوي حيث يكون مقيداً بمشاركة المحكومين لقوله :"**إن على المرء أن يشترك شخصياً في تشكيل الحكم، فالذي يخضع للحكم إدارياً يجب أن يكون هو نفسه المشرع** "[2]،يعني أن "روسو" ينادي بحكم وحيداً هو حكم الشعب، فقد كان يهتم بحاضر الإنسان، ذلك من خلال ما عايشه للنظام السائد في عصره وكذا الثورة الصناعية وما انجر من خلالهما ليتصور بعد ذلك صلاح مستقبله .

تتحدد قوة الدولة بمدى ترابط والتحام أعضاءها فيما بينهم إذ يلغي هذا الالتحام كل امتيازاتهم الفردية ليجعلهم كياناً واحداً، وهذا من خلال الإرادة العامة لقوله: "**أن الإرادة العامة، هي وحدها ولا شيء سواها، تستطيع أن تقوم قوى الدولة وفق للغاية من تأسيسها ألا وهي الخير المشترك**"[3]، هذا يعني أن هذه الإرادة بوصفها إرادة الشعب بأكمله، إذ هي طريقة يعبر بها الإنسان عن حريته كعضو في المجتمع .

1-جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ حقوق سياسية، ص 46.

2-نقلاً عن ، موريس كريستون، أعلام الفكر السياسي، مراجعة فيصل جلول، ط2، 1971م، ص 287.

3-جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ص 105.

وإذ اعتبرنا الدولة هي ذلك الجسم السياسي، الذي يحفظ حقوق وممتلكات المواطنين، لا بد أن يتمتع بالحركة والإرادة بواسطة التشريع الذي من خلاله يتمكن من الإبقاء على نفسها وعلى مواطنيها الذي يعدون هم المساهمون في سن القوانين لقول روسو: "**يجب على الشعب المذعن للقوانين أن يكون هو صاحبها الذي سنها**"[1].

ومعنى هذا أن يكون الشعب متسرعاً للقوانين مما يجعله يضمن لنفسه الحرية وكذا المساواة التي هي أساس قوة الدولة، حيث: " **شجع روسو هذا الأخير –القانون– الذي هو تعبير عن الإرادة العامة لأنه مقدس ولا يمكن خرقة ويهتم به بحماس في كتبه، لأن القانون هو الذي يفيد ويدعم الأفراد لتحقيق مصالحهم الاجتماعية والسياسية، والقانون فوق الجميع**"[2]، لذا وجب الخضوع له من أجل أن ينتفع الجميع وكذا للحفاظ وتحقيق الأمن والاستقرار.

وكل قانون لا يرضى به الشعب، يعد قانوناً باطلا: "**إن القانون تنتجه إرادة كل شخص يفكر عن طريق الجميع والوظيفة الأولية للعقد الاجتماعي هي تكوين نظام حكم يمكن أن يعبر عن الإرادة العامة**" [3]، إذ يعد هو نتاج الشعب حيث يسهم كل فرد في وضعه، والقانون الوضعي حسب روسو لا يمكن أن يكون غير عادل.

ويعد الخروج عن القانون هو تعدي على الإرادة العامة التي هي أساس قيام الدولة، وهذا الاستبداد ينجر من خلاله للقضاء على سيادة الشعب ويشكل صيغة الحاكم

1– جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ،ص 123.

2– عبد المجيد عمراني، محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي، منشورات الحبر، الجزائر، ط1، 2008، ص 102.

3–لفي شتراوس وجوزيف كروسي، تاريخ الفكر الفلسفة السياسة من جون لوك إلى هيدجر، ص 149.

والمحكوم لقول روسو: "**ولئن أخضع أشخاص مشتتون ....لسيطرة فرد واحد، أياً كان عددهم فأني لا أرى في ذلك قط إلا سيداً و عبيداً**"[1].

هذا يعني أن روسو من خلال ما عاشه في عصره وكذا النظام الذي كان يجعل من أفراد أسياد وآخرون عبيداً لهم وكل مظاهر الاستبداد جعله يرسم قوانين تجعل الكل في طبقة واحدة في ظل المساواة والعدالة، وكان لموجة الثورة الصناعية والتقدم العلمي كذلك تأثير عليه وعلى فكره وكيف أثرت على أنفس الأفراد من حب التملك والأنانية، مما ساهم في كثرة الفساد لذا فأن فكره كان دائماً طموحاً لوجود ضوابط تحكم ما سن عليه إسم القانون.

إذ أن "جان جاك روسو" يرى أن الإنسان يحقق حريته بالخضوع للقوانين من خلال قوله: "**إن الشعب الحر يخضع ولكنه لا يستعبد، وله رؤساء لا أسياد ولا يخضع للناس**"[2]وهذا يعني أن تحقيق الحرية عند "روسو" بالخضوع للقوانين باعتباره هو نفسه مشاركاً فيها ولا يخضع لأي سلطة أخرى، فإذا كان القانون قانون الأقوى، عندئذ لا يكون المجتمع مؤسساً تأسيساً حقيقياً ولا الهيئة السياسية هيئة فعلية .

فالمجتمع الذي ينبغي تحقيقه حسب "روسو" هو المجتمع الذي يضمن سلامة ممتلكات وحرية كل متعاقد في ظل دولة وقانون نظر للتطور المستمر يقول "روسو" :"**عندما يخضع الشعب كله قواعد تطبق على الشعب كله، فإنه إنما يتعامل مع نفسه، وتكون العلاقة الناجمة عن ذلك علاقة الكل من جهة الكل، من أيضا من جهة أخرى بلا أية تجزئة للكل، وهكذا فإن ما تتعلق به القواعد الموضوعية يكون عاما مثل الإرادة العامة التي وضعته وهذا هو ما أسميه قانوناً** "[3].

1- جان جاك روسو، العقد ومبادئ القانون السياسي، ص 46.

2- جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، تر، ناجي دراوشة ، دار التكوين ،ط 1 ، ص 572.

3- نجيب المسكاوي، روسو، حياته مؤلفاته، القاهرة، دار الشرق، 1989، ص305.

ومؤدى هذه النظرة أن القانون هو من الشعب وللشعب، أي يتصف بالعمومية من حيث مصدره ، ومن خلاله يلغي تلك الحاجة للسؤال عن ما له الحق في إصدار القانون، إذ أنه من الإرادة العامة أي إرادة الشعب، وأن يكون القانون ظالماً، حيث أنه لا يمكن أن يكون هناك إنسان ظالماً لنفسه وبهذا يمكن للدولة تأسيس سيادتها.

وعن الحديث عن هذه الأخيرة –السيادة– يقول "روسو": "**السيادة ليست ممارسة الإرادة العامة، لا يمكن أبدا التصرف فيها، وصاحب السيادة الذي هو كائن جماعي لا يمكن أن يمثله أو ينوب عنه سوى نفسه**" [1]. يرمي من خلال هذا إلى أن السيادة ماهي إلا سيادة الشعب لذاته وهو سوى مطلق لنفسه في نطاق الكل.

"**فروسو يرى أن فكرة وجود ممثلين للشعب فكرة حديثة النشأة أتت من الحكم الإقطاعي الظالم الذي أهين فيه الجنس البشري** " [2]،معنى هذا أن "روسو" يبرز فكرة أنه كان ضد الحكم السائد في عصره لما مارسه من ظلم وفساد ولامعقولية، فقد ساهم في انحطاط الإنسانية من خلال تسلطه.

فالسيادة الحقة هي تلك التي تكون من الشعب نفسه فهي منبعثة من الإرادة العامة، والإرادة العامة لا تتجزأ كذلك هو حال السيادة، وأن توجد بصفة جزئية فهو مالا يمكن حدوثه لقول "روسو" "**السيادة لا تتجزأ لنفس السبب الذي يجعلها غير قابلة للتنازل، وذلك لأن الإرادة تكون عامة أولا تكون وهي إما أن تكون إرادة هيئة الشعب أو قسم منه فقط**"[3]، معنى هذا أن روسو يؤسس سيادة الشعب كجمع من المواطنين.

1–جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ص 21.

2– جان جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي، ص 499.

3–جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي ، ص 53.

فسلطة الشعب مصدرها مستقل عن كل ما هو قابل للتنازل ويضيف بقوله: "**يمنع انقسام السيادة لذات السبب في امتناع التنازل عنها ،و ذلك لان الإرادة تكون عامة**"[1]، وبهذا أن علاقة الفرد بالدولة تتشكل وفقا للإرادة العامة، لإرادة شعب مما يحقق تلك السيادة المنشودة وفي نفس الوقت تحقيق السلطة المطلوبة والمرجو قيامها .

فاللبنة الأولى الأساسية في بناء الدولة هو الفرد، إذ هو مسيرها ومشرع قوانينها، ودولة بدورها تمح صفة المواطنة للأفراد وتضمن لهم مبدأ المساواة، لتلغي تلك الفروق بين الأغنياء والفقراء :" **أن لا يخول الغني صاحب القدرة على شراء الآخرين وألا يحوج الفقر صاحبه إلى بيع نفسه للآخرين، لتحقق القوى من غلوائه والغني من جشعه والضعيف من حقده والفقير من حسده**"[2]، يعني هذا أن من واجب الدولة أن تنشر روح المساواة بين مواطنيها، ليس بأن تكون درجة الثراء متساوية بين الكل، لا بل من خلال المقدرة على إلغاء العنف والتسلط، إذ يعد هذا مضراً بالدولة والخير العام .

فروسو لم يفكر في إقامة مجتمع مبني على المساواة المطلقة، بل هي مساواة نسبية، قاصداً من خلالها تحقيق الفوارق التي تباعد بين الأغنياء والفقراء فقد كتب في كتابه العقد الاجتماعي :"**أتريدون أن تعطوا الدولة تماسك؟ قربوا بين الدراجات القصوى ما أمكنتهم ذلك، لا تقبلوا وجود الأثرياء الكبار، ولا المعوزين، لأن الحالتين مضرتان بالخير العام**"[3].

معنى هذا أن روسو يسعى دائما إلى طريق وسطى والتي تكفلها قوة التشريع من الدولة، فأفكاره هذه مستوحاة من اهتمامه بالحركة الاجتماعية، وكذلك من الأوضاع المتطرفة التي تقابل بالنفور جراء الثراء والعوز، فكلتا الحالتان سلبيتان على الجميع .و بذكر أن

1-جان جاك روسو،العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية،ص61.

2- اندريه كريستون، روسو، حياته وفلسفته، ومنتخبات، ص 121.

3- جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة الى عصر التنوير، ج2، ترجمة :د.ناجي الدراوشة، ط1، دار التكوين، بيروت، 2010، ص578.

الدولة تضمن حرية أفرادها حيث تعد هذه الأخيرة _الحرية _معطى أول وصفة جوهرية للإنسان فهي مرتبطة بماهيته، وتستمر في ظل وجود الدولة نظرا لتقدم والتطور المنشود "**فحصوله على الحرية العامة فثمة فرق إذن بين أن يتقيد الإنسان بإنسان آخر وبين أن يتقيد بالكل الذي هو جزء فيه.**"[1]

الحرية السياسية حسب روسو تتحقق من خلال أن يقر الفرد ما يريد وما يشاء من قوانين التي تتماشى وفق لحريته، ومن هنا يتأسس ما يسميه روسو بالديمقراطية أي أمكانية التعبير والمواجهة للأساليب التي تحد من حريتهم، وبهذا يتأسس الدولة على الحرية، يقول "روسو" : "**ليس هناك إلا قوة الدولة التي تضع حرية أعضائها وقوانين مدنية تنشأ عن العلاقة الثنائية**"[2].

معنى هذا أن للدولة حق صناعة القرار واتخاذ المواقف بشكل ديمقراطي وتحقيق حرية الفرد في ظل توافق الجماعة، ما يحقق ويضبط أكبر قدر من الخير العام، وكذا الاستناد إلى أمرين أساسين هما الحرية والمساواة لتحقيق العدل ونظام سياسي كامل في ظل التطرفات.

فالليبرالية التي كانت سائدة في عصره" **وما ألحقته من انشقاق حيث يستنبطون تفاوتاً وضعياً بين الحظوظ والخيرات تفاوتاً لا ينشأ المجتمع إلا به عكس** "روسو" **الذي من خلال المساواة التوزيعية بين الأفراد والذي يما هي بين الدائرة المدنية والسياسية واللبراليون يفصلون بين المجتمع ودائرة الدولة** "[3]، معنى هذا أن "روسو" ضد فكرة الليبرالية، فالدولة التي هي من إعداد الفرد وإنتاجه ، فنموذج السياسة الفردية هو الدولة و

1-علي محمد عبد المعطي، الفكر السياسي الغربي ،ص299.

2- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، ص 101.

3- نفسه ، ص 42.

هذه الأخيرة –الدولة– هي نتاج واقع سياسي يساهم في وتكوينه الفرد من أجل تحقيق النفع العام.

ومن خلال هذا يظهر أثر روسو السياسي في سمو الدولة وعلوها من منطق أنها تجمع كل الإرادات الفردية لتشكل إرادة عامة، هذا من خلال أنه " **لم يكن روسو متقدماً فحسب على جيله، بل كان معارض عنيفاً لاتجاه زمانه، وذلك من خلال جملة من الأفكار، فد كان أول داعية إلى التطور الاجتماعي، وكانت محاولته في رسم التقدم التاريخ للمجتمع الإنساني بصورة متسقة**"[1] ، معنى هذا أن "روسو" تقدم على معاصريه في مسألة تقدم وتطور المجتمع الإنساني.

حيث عالجه بأسلوب متميز ومتماسك يصف تاريخ الفكر السياسي الغربي، حيث أستوعبه بعمق تفكيره وبرهن عليه من خلال تأملاته ومعايشته لأحداث مختلفة، استطاع أن يقدم نظرية سياسية جديدة شديدة التماسك والقوة، وهذا ما تجسد في فكرة الإرادة العامة la volonté générale" والعقد الاجتماعي.

1– موريس فرادوار، موسوعة المشاهير المختصرة، أعلام الفكر السياسي، ج5، ط1، دار الصداقة العبرية، بيروت، 2002، ص 61.

المبحث الثاني : الفكر التربوي عند جان جاك روسو في ظل فكرة القدم

يعتبر جان جاك روسو من فلاسفة عصر الأنوار، وذلك من خلال مساهمته الفعالة في العديد من المجالات من بينها التربية، إذ يعد موضوع التنوير الذي شغل جل الفلاسفة في الفكر الغربي والعربي عامة والفرنسي خاصة خلال القرن الثامن عشر، حيث ساهمت أفكاره حد الثورة على الأوضاع السائدة بمفاهيم جديدة لدراسة الفرد والمجتمع، إذ يعتبر التربية أساساً جوهرياً، في تغير بيئته السائدة وعليه كيف عالج روسو موضوع التربية الذي أعتبره حجر الزاوية في عملية التقدم ؟

أولاً: فكرة التربية وتطورها عند جان جاك روسو

إن الفكر التربوي عند روسو هو بمثابة ثورة فكرية تربوية، على جملة الأفكار التربوية التي كانت سائدة في عصره وهذا ما يؤكده روسو بقوله: "**ولن أطيل الكلام عن قيمة التربية الصالحة، ولن أتلكأ لأثبت أن التربية السائدة الآن فاسدة** "[1].

ما نستشفه من هذا القول أن روسو حكم على التربية التي عاصرها بأنها تربية فاسدة، وأن التربية الصالحة لها من القيمة ما من شأنها أن تصلح الفرد ومن ثم المجتمع، ومن خلال هذا الإصلاح تتحقق النهضة ويتحقق التقدم .

فعصر النهضة ظهر فيه العديد من التحديات العلمية والفلسفية، إذ عملت الحركة الإنسانية على ترقية التربية بجملة العوامل من أهمها الاكتشافات الجغرافية وظهور الطباعة، ولعل جان جاك روسو خير من مثل هذا التعبير، ويظهر هذا من خلال قوله" **إن ولدت بعد عشرة أشهر ضعيفاً سقيماً وقد كبدت أمي حياتها، وكان مولدي أول محاق بي من تحسن وتعاسة ولم يقص عليا أحد قط، كيف أحتمل أبي هذا المصاب ولكني أعرف أنه لم يتغير أبداً، وكان يخال أنه يرى زوجته في شخصي دون أن يقوى على أن ينسى أنني الذي حرمته إياها**"[2].

من قوله هذا يتبين ما عاناه روسو من تعاسة وشقاء، وكذا الحرمان من حنان الأم ، فمولده يعتبر أول ما حاق به من نفسه وتعاسة فحياته التي غلب عليها طابع الإثارة والتمرد، وكذا كثرة الانتقال ، لذلك نجده يقول: "**تصور غلاماً كهذا يتعرف للمرة الأولى على مثل هذه الصورة الفظيعة للظلم، وعلى أيدي أولئك الذين كان يحبهم بالذات ويحترمهم، أكثر من غيرهم ...فيالها من صدمة تبيت آراء هو آماله من حادث أخل**

1- روسو، إميل من المهد إلى اللحد، ص 17-18.

2-جان روسو، اعترافات جان جاك روسو، تر: حلمي مراد، دار ميوزك، ط1، القاهرة، 1998، ص 10.

باتزان مشاعره "[1].هذا يعني أن التنشئة الاجتماعية لها أثر كبير خاصة على نفسية الطفل روسو بانتمائه إلى الطبقة الفقيرة البائسة.

وخير وسيلة للتغير يتمثل في عامل مهم بالنسبة له، وهو إيجاد نمط تربوي جديد، يتمظهر ذلك من خلال كتابه إميل "Emile" إذ "**يعلق روسو أهمية كبيرة على كتابه "إميل" لأنه يتضمن حجر الزاوية في نظريته ...أن يقدم نموذج الإنسان الطبيعي وقد كان يعرف جيدا أن أحد لا يستطيع أن يشرع في إصلاح الدنيا دون أن يسعى أولا إلى إصلاح التربية** "[2].

من خلال هذا يحاول روسو في كتابه إميل الذي اخذ منه الجهد الكبير من أجل إدخال الإصلاح، حيث يبدأ محاولة إصلاحه هاته انطلاقاً من النشء باعتبارهم لبنة المجتمع الأولى.

وبهذا فالمكانة السامية التي حققها روسو بين معاصريه، لآراء القيمة التي تخص بالنظر الحالة الاجتماعية والتربوية، يقدم فيه دوراً بارزاً للاهتمام بالطفولة حيث "**تعد التربية عنده الأساس التي يجب أن تشاد عليه قواعد الخلق** "[3].

فأراد إقامة ثورة فكرية ،فهدفه من هذه الثورة بناء مجتمع مثالي: "**عصر كثر فيه الظلم والاضطهاد والفساد مما كان له أبعد الأثر في تكوين ونضج أرائه وسمو تفكيره، لقد كافح من خلال المعاناة وساهم في الكشف عن الكثير من أسرار المجتمع الذي عاش فيه، وتألم لما فيه من مفاسد وانعدام المساواة**"[4]، فمن خلال كل هذه المعاناة

1- جان جاك روسو، اعترافات جان جاك روسو، ص 20.

2- نجيب مسكاوي، جان جاك روسو، حياته ،مؤلفاته ، غرمياته، ص 323.

3- محمد حسين هيكل، جان جاك روسو، حياته وكتبه، ص 170.

4- نعيم حبيب جعنيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2004، ص168.

والحياة التي عاشها، يظهر إبداعه التربوي المميز في ظل التقدم والتطور الذي يعيش الإنسان الأوربي عامة والطفل بصفة أساسية.

كما تحدث روسو عن دور المربي لما له من أهمي، على الأب أن يتحرى كل مزايا المؤدي إذ يشير "روسو" :"**إلا أنه ينبغي على المربي الذي قوم على تربية الطفل أن يكون شاباً وأن يكون في مقدوره مصاحبة تلميذه وكسب ثقته بمشاركته في لهوه ومسراته**"[1].ومن خلال هذا يريد روسو إبراز صفات المربي الفاضل، بحيث لابد أن تكون له خبرة سابقة، وأن يتخذ طريقة الإرشاد والنصح والابتعاد عن طريقة التلقين وحشو المعلومات .

ويتحدث عن الجانب النفسي وضرورة مراعاته وعليه "**مؤلف إميل يتحدث على أنه لا يمكن لأي مربي أن يطور أساليبه التربوية دون أن يكون له فهم للطفولة وطبيعتها وأحوالها، لذا جاءت دعوة روسو الشهيرة القاضية بضرورة حسن معرفة الطفولة**"[2]هذا يعني أن لمرحلة الطفولة أهمية خاصة، إذ من خلالها تحدد شخصيته في المجتمع والإطار العام في المستقبل.

ومن خلال الفكر التربوي المتميز لروسو حيث فتح مجال الحرية له من خلال قوله "**رب الجسد والأعضاء والحواس والقوى، ولكن دع الروح مستريحة أطول مدة ممكنة**"[3]،مبتغى قوله أن يترك الطفل بحرية وعلى طبيعته من خلال اعتماده على ذاته قبل أن تعده رجلاً، فمن خلال هذا فقط تتكون شخصية الطفل ويبني ذاته بذاته.

إذ حسب "روسو" وجب إعطاء للطفولة اهتماما أكبر معبرا بذلك "**وإن من يضيق بفترة الطفولة لا يدرك من النوع البشري كان حرا لا يهلك لم يبدأ الإنسان طفلاً... فنحن**

1-جان جاك روسو ،إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 45.

2- خالد الخطاط، مفهوم الطفولة عند روسو من التربية إلى علم التربية، نقد وتنوير، العدد الأول، 2015، ص 243.

3- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 112.

نولد ضعافاً، في حاجة إلى القوة، ونولد مجردين من كل شيء في حاجة إلى العون ونولد حمقى في حاجة إلى التميز، وكل ما يعوزنا حين مولدنا ونفتقر إليه في كبرنا تؤتينا إياه التربية "[1]ومن خلال هذا يتبين أن "روسو" إتخذ موقفاً ايجابياً من الطفولة، في كتابه "إنجيل التربية" ، الذي يبعده عن المجتمع الصناعي وضوضاء المدن وكل ما تحتويه من تغيرات وتطورات اجتماعية لينتقل به إلى الريف.

ثانيا: مراحل التربية عند روسو:

يقدم روسو في كتابه إميل مساهمات هامة في النظرية التعليمية، يستطيع القارئ الحديث أن يميزها عن كثير من النظريات الغير عملية، "**يعرف روسو أن الطفل يجب أن ينقاد لتحقيق النتائج الطبيعية لسلوكه الخاص، ويتعلم بالتالي أن يحكم على نفسه، فالتعليم يجب أن لا يكون مصطنعاً بقدر الإمكان، ويجب ألا يعامل الطفل بوصفه راشداً غير ناضج، لأنه يمر خلال مراحل مختلفة فيكون طفلاً وصبياً ومراهقاً ولا بد من احترام شخصيته في كل مرحلة منها**"[2]. ومن خلال قوله يؤكد على أن الفرد الصالح يكون من خلال تحرره من قيوده المدنية التي سيطرت على كيانه وهذا من خلال مشروعه التربية الصالحة .

ويذكر أيضا أن التربية متعددة المصادر ، وهذا حسب قوله : "**والتربية تأتينا أما من الطبيعة أو من الناس، أو من الأشياء، فنمو وظائفها وجوارحنا الداخلي ذا لكم هو التربية الطبيعية، ما تتعلم من الإفادة من ذلك النمو ذا لكم هو تربية الناس وما نكسبه بخبرتنا عن الأشياء التي تتأثر بها، فذا لكم هو تربية الأشياء**"[3]،ما نستنتجه من هذا القول أن التربية تساهم بشكل أو بآخر في نمونا وبالتالي في تقدمنا نحو الأمام وتحقيق

1-جان جاك روسو، إميل من المهد إلى الرشد،ص26.

2- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 240.

3- جون جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 26.

التطور والتقدم سواء كان هذا على المستوى النفسي من خلال احتكاكنا بالناس ،وهذا ما يبرز جلياً في تربية الناس أو من خلال حسن اختيارنا للأشياء والتأثير فيها، وهذا ما نجده في تربية الأشياء .

" **إن روسو يدعونا إلى العودة إلى الطبيعة، فلقد أوضح روسو في كتابه "إميل" أو في التربية أن الرجوع إلى الطبيعة هو الحكمة ذاتها، وأن أول نقطة في الإصلاح سواء كان اصطلاحا أساسياً أو اجتماعيا أو أخلاقيا أو صحياً أو تعليمياً هي العودة إلى الطبيعة وإتباع قوانينها**".[1]

إذ يفتتح كتابه بقوله: "**يخرج كل شيء من يد الخالق صالحا، وكل شيء في أيدي البشر يلحقه الاضمحلال**" [2].و هذا يعنى أنه يؤسس نظريته انطلاقا من طبيعة الطفل ، إذ تعد خيرة حسب روسو فالمجتمع منبع الشرور لذا يدعوا بالرجوع إلى الطبيعة.

إن أعظم ما قدمه روسو للتربية هو الكشف عن طبيعة الطفل والاهتمام بها، إذ يوجه روسو قوله للوالدين قائلاً "**أفتريدون أن يحتفظ الطفل بصورته الفطرية، أحفظوها عليه إذن منذ قدومه إلى هذه الدنيا، متى ولد، ألزميه أيتها الأم وألزمه أيها الأب، ولا تفارقيه مطلقاً إلى أن يستوي رجلاً ولن يكون فلاحه إلا من هذا الطريق**"[3].من خلال هذا يؤكد روسو على أهمية الوالدين، إذ تعد الأم حاضنته والأب هو معلمه الأول .

يقول كذلك : " **إذا أردتم أن تعددوا كل إنسان إلى واجباته الأولى عليكم البدء بالأمهات وستعجبون لما تحدثونه من تغيرات**"[4].يشير من خلال قوله على حرص الأمهات في تربية الطفل وتعويده على حياة البساطة ولتقشف والصبر والاعتدال في كل

1- علي عبد المعطي، تيارات فلسفية حديثة، ص 433.

2-جان جاك روسو، إميل وتربية الطفل من المهد إلى الرشد ،ص24.

3- نفسه،ص 41.

4-نقلا عن علي سعد وطفة، الثروة التربوية في فلسفة جان جاك روسو، العدد 10، مجلة التنوير، مارس 2015، ص 20.

شيء، ليكون رجل المستقبل الصالح لنفسه ولمجتمعه، وروسو يلقي مسؤوليات كثيرة على الأمهات وواجبهن التربوي تجاه أطفالهن، إذ تعد مرحلة الطفولة مهمة في حياة الطفل لذا وجب العناية به ومنحه الحرية الكاملة في التعلم دون تقييد بطرق تقليدية

إذ في هذه المرحلة يتعلم الطفل مفردات اللغوية ونطق الكلمات أكثر من قدرة التفكير وأن يؤخذ الطفل إلى الريف ليعيش في أحضان الطبيعة بعيدا عن شرور وضوضاء المدن من خلال قول روسو: " **فالإنسان المتمدن يولد ويعيش ويموت في رق العبودية حين يوثقونه بقماط، حين يموت يمرون عليه تابوتا ومادام على وجه الدنيا فهو مكبل بشتى النظم**".[1]نستشف من هذا أن روسو يعلي من شأن الطبيعة وسعى لتربية إميل في الريف بعيدا عن التقدم والتطور الذي تعيشه المدن .

تعد بدايات التربية الآنفة الذكر تأثير بالغ في فكر روسو، وفي تنمية حس التغيير وتطوير في أفكاره لما عاشه في مجتمعه والمحيط الذي تربى وكبر فيه إذ يظهر حس التغيير عنده لفكره التربوي من خلال الاهتمام الكبير الذي يوليه للطفولة حيث يقول: " **أعدوا طريق لتربية مستقيمة! احترموا الطبيعة في الطفل احترموا فطرته وميوله، لا تتجاهلوا الطبيعة ولا تمسخوها!** ".[2]هذا يعني أنه يهتم بطبيعة الطفل ويدعوا لإطلاق حرية الأطفال لتكون بذلك التربية مستقيمة.

فنظرة روسو الإصلاحية انحدرت من واقعه وتجاربه إذ لاحظ أن الطفل في القرن الثامن عشر والفترة التي عايشها كان مقيد لا يسمح له بتفكير مستقل بذاته، بل متبع لسابقيه ولبيئته وكل العادات والتقاليد والأنظمة السائدة، أي السير وفق قوانين تعطى له فحسب.

1- جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 33.

2-نفسه، ص 16.

وكذلك من خلال إعطاء مفهوم جديد للتعليم وإدخال تعديلات وتغيرات في المنهج الدراسي للطفل بإعطائه عناية أكبر، وتجنب الطريقة الآلية للمعلم وفتح المجال أمام الطفل أكثر لاستعداداته الفطرية وهذا ما سنطرق إليها فيما بعد في مرحلة من مراحل تربية الطفل إميل.

أما إذا انتقلنا غلى المرحلة الثانية من الطفولة حيث تمتد من سن الخامسة غلى الثانية عشر من عفر الطفل، فهنا حسب روسو يبدأ الاهتمام بالصفات الخلقية للطفل، من تنمية جسده وكذا الاهتمام بميولاته وتحركه بكل حرية، إذ من خلال هذا فقط يستطيع الطفل أن يحصل معلومات ضمن خبرة استقاها عن طريق استخدام حواسه وكذا التجربة.

نجده يقول " **الوصية الوحيدة التي تناسب الأطفال في كل الوجوه أن لا يسيئوا إلى أحد**".[1]هذا يعني أن الطفل يستغل كل طاقاته في الاعتماد على نفس في تحصيل المعرفة في ظل النصح والإرشاد من طرف المعلم والمربي في وجوب الطاعة والاحترام.

فالتربية هنا حسب روسو " **ترتكز على تربية الجسد والحواس فالعقل يجب أن يتعلم الطاعة على أنها واجب طبيعي ويجب أن تبعد الطفل من الشر ويشير هنا غلى انتهاء مرحلة الطفولة**".[2]

وفي هذه المرحلة تظهر التربية السلبية كما اسماه روسو إذ أن الطفل يتعلم من خلال ذاته أن على المربي عدم التدخل إلا إذا اقتضى الأمر النصح والإرشاد فقط، والطبيعة توجه هذا الطفل، " **فعندما يسقط إميل يتألم، وعندما يتخم يعاني من الألم، وعندما يخرج في ليلة باردة يصاب بالزكام وعندما يضع يده على مكان لاهب يشعر بألم**

1-جان جاك روسو، إميل من المهد إلى الرشد، ص 112.

2- نفسه ، ص 80.

الحرارة ووخزها".[1]هذا يعني أن الطفل عن طريق الطبيعة يتربى ويتحمل نتائج أفعاله وبهذا تتحقق تجربته الذاتية.

حث روسو الطفل أن يتصف بالصدق والابتعاد عن حشو الذهن بانحرافات كما يشدد على التربية البدنية مما يجعل الطفل يكتسب جسم قوي وجسد سليم وصحي وهذا كله في ظل كذلك الطبيعة كما جاء في كتاب إميل وبهذا يتعلم الأخلاق والآداب.

لتبدأ بعد ذلك التربية العقلية التي تأخذ مجراها أكثر تنظيما تمتد من سن الثانية عشر غلى الخامسة عشر، لكنها تختلف عن التربية التقليدية إذ من خلال هذه المرحلة تهدف إلى تنمية ملكته العقلية وذلك من خلال جملة من العلوم المختلفة النافعة، وهذا ما تطرق به جان جاك روسو في الجزء الثالث من كتاب إميل حيث يستهله بقوله " **فالتحول إحساساتنا إلى أفكار ولكن ينبغي ألا نقف طفرة واحدة من الأشياء المحسوسة إلى الأشياء الذهنية أو المعقولة بل يجب أن يكون وصولنا إلى تلك الأشياء المعقولة عن طريق الأشياء المحسوسة ولذا يجب أن تكون الحواس مرشد الفكر ودليله في عملياته الأولى، ولا ينبغي أن يكون لدى فتى إلا كتاب الدنيا حوله**".[2]

إن روسو يعي جيدا أن النمو العقلي للطفل يتطلب وقتا معين، إذ لا بد ألا نتسرع في الحكم على حالة الطفل العقلية حيث نجده يقول " **دعوا الحالات الخارقة تثبت في نفسها بنفسها، وتفحصوا جيدا خصائصها قبل أن تتخذوها مناهج خاصة غير المناهج المتبعة في تربية الأطفال العاديين امنح الطبيعة الفرصة كي تعمل عملها بهدوء تام، ولا تفسدها بتدخلك المتسرع**".[3]يعني هذا أن التربية العقلية تحتاج إلى فترة معتبرة وإلى التمهل لكي لا نصدر أحكاما خاطئة، فطبيعة الفطرية للطفل كفيلة بذلك .

1- علي سعد وطفة، الثروة التربوية في فلسفة جان جاك روسو، ص 22.

2- جان جاك روسو، إميل من المهد إلى الرشد، ص 152.

3- نقلا عن خاليد خطاط، مفهوم الطفولة عند روسو من التربية إلى علم التربية، ص 240- 241.

إذ تتحول أحاسيسه إلى أفكار مما يمكنه من الاستفادة على أكثر ما يمكن من المعلومات ويكون بذلك قدراته العقلية وتجعله يشكل وعيا خاصا بالأشياء المحيطة به حيث نجده يقول " **سوف لا أعلمه بنفسي، فكل مهمتي أن أضع قدمه على طريق المعرفة السوي، وما تتمنى أن تحصل عليه ما يريد من العلم، فسوف يستخدم عقله لا عقل سواه من الناس**"[1] هذا يعني فالطفل يتحصل معرفة بذاته من أحضان الطبيعة.

يعتبر روسو أن التعامل مع الأطفال بمنطلق الأوامر والنواهي وكذا التعاليم الأخلاقية المستوحاة من المجتمع، سيكون عديم النفع، لأنها خارج هن منظومته القيمية الخاصة نجد روسو يقول: " **لا نستطيع أن نلقن الولد كيف يجب أن يفكر بتفكيرنا نحن عوضا عنه، يجب أن لا نقول له شيئا عما يستطيع أن يصل إليه بوسائله الخاصة، بل أن نهيئ له الظروف فحسب**".[2]هذا يعني أن نترك الطفل على حريته يكون ملكاته العقلية رويدا رويدا مع تعامله بالأشياء وكذا الطبيعة التي تحيط به.

وبمجرد أن يبدأ الطفل في التفكير والتعقل، يجب أن ولا نتركه يقارن نفسه مع الآخرين من الأطفال يقول روسو: " **إما الحسد وإما الغرور، فليكن هو معيار نفسه فذلك أنفع وأجدى** "[3] هذا يعني أنه بمقارنته هذه ستكون سلبا عليه فالأطفال يختلفون في نسبة الذكاء والفروق الموجودة بينهم ليست بالمعيار للحكم بينهم.

بالإضافة لذلك يتطرق روسو إلى أن معلومات إميل العلمية محدودة غلا أنها جيدة وتساهم في تكوينه العقلي وذلك من خلال ذهنه المتفتح ذكي مستعد للمعرفة حيث يقول: " **ليس هدفي إطلاقا أن أمنحه العلم بل أن أعلمه كيف يكتسبه عند الحاجة، وكيف**

1-جان جاك روسو، إميل والتربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 174.

2-نفسه، ص 163.

3-نفسه، ص 84.

يقدر حق قدره وأن يحب الحقيقة فوق كل الأشياء"[1] هذا يعني أن التجربة الذاتية لها أهمية كبيرة لدى الأطفال من ترسيخ المعلومة والمحافظة عليها دون نسيانها فالتلقين يمحى من الذاكرة بسرعة أما الممارسة فيحتفظ بها لأمد طويل .

تأتي مرحلة من السن الخامس عشر إلى العشرين فقد حان الوقت في هذا السن للعناية لقلبه عاطفيا وروحيا ليصبح هذا الطفل كاتبا اجتماعيا فاعلا ومشاركا في حياة مجتمعه وفاعلا فيه ويشعر بما يعانيه غيره من حيث ما يراه روسو: " **أنه تتولد لديه الشفقة التي هي أول شعور رابط يمس قلب الإنسان، ولكي يغدو الطفل ذا حساسية ورحمة يجب أن يعلم أن له نظراء يعانون كثل ما عاناه ويحسون الآلام التي أحس بها**"[2] ومن خلال هذا يبدأ الطفل بتكوين الحس الإنساني والشعور بالغير، من خلال أن يضع نفسه محل غيره، ولهذا تتولد لديه الشعور بالرحمة والرأفة اتجاه الآخرين .

كما يرى روسو "**أن إميل في هذه المرحلة يربى تربية وجدانية خلقية ودينية فهو حتى سن العشرين يبدأ بدراسة الدين وهذا من خلال ملاحظته للطبيعة فمن خلالها يعرف أن هناك خالقا ومنظما لها وللعالم**".[3]ومعنى هذا أن روسو أجل التربية الدينية إلى مرحلة عمرية متأخرة للطفل ذلك لأن عقل الطفل اكتمل وأصبح له خيال واسع يجعله يميل للعبادة والدين وكذلك يفتح مجالا أمام الطفل في الذهاب إلى المسرح ودراسة التاريخ والبلاغة وهذا ما يجعله يتذوق الفن.

فمن خلال هذا تكون مراحل الأربعة لتربية إميل الطريق المستقيم الذي يسير عليه لإعداده رجلا صالحا لمجتمع صالح، إذ يكون قادرا على مواجهة ركب الحضارة والتقدم

1- جان جاك روسو، إميل والتربية الطفل من المهد إلى الرشد ، ص 174.

2-نفسه، 181.

3- نعيم حبيب جعيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، ص 172-173.

وذلك من خلال الاعتماد على نفسه بنفسه دون الحاجة إلى مساعدة الغير في تحقيق حاجياته ومتطلباته هكذا تتعزز إنسانيته كإنسان وطريقة تعامله مع أبناء مجتمعه.

ثالثا: هدف التربية الروسوية

يرمي روسو من خلال منظومته التربوية هذه إلى التغيير ما كان سائدا في عصره العصور التي سبقته، إذ تظهر عبقريته من خلال تميز أفكاره إذ: " **جعل من الطفل يحتل موقع المركز في المنظور التربوي لديه، فطبيعته صارت تشكل نبراسا ومنطلقا للتربية وتطوراتها، ما اعتبر سورة تربوية قلبت المواقع والتصورات واستحق بفضلها روسو لقب كوبرينك**".[1]وهذا يعني أن مساهمة روسو التربوية كانت فريدة من نوعها .

ويرجع هدف تربية روسو المنشودة إلى تطوير الأساليب التي يعتمد عليها المربي والمعلم في طريقة تعامله مع الطفل من خلال قوله: " **ابدأ إذن بإحسان دراسة تلاميذك فأنت يقينا لا تعرفهم إطلاقا**"[2]معنى هذا أن حسن معاملة الطفل تبدأ أولا من خلال فهم طبيعته وكذا التعرف على المعاملة المناسبة له وتلاؤم شخصيته.

اعتبر روسو من خلال نظريته هاته أول من " **بدأ الحركة النفسية الحديثة مسلما إلى خلفائه من أمثال هاربارت الألماني، وبستال ونزيوفروبل، مما ساهم في تقدم علم النفس الحديث الذي أكد على دور الاهتمام والميل والفروق الفردية بين الناس، فأثر على التربية أصبح رائدها ومحورها**".[3]فمن خلال هذه الأهداف المنشودة يظهر أثر روسو المتميز عن غيره من الفلاسفة في نظريته التربوية، الإصلاحية، لأنها ساهمت في تغيير الواقع الاجتماعي السائد وكذلك تغيير النظم السياسية التي كانت مسيطرة.

1-خاليد خطاط، مفهوم الطفولة عند روسو من التربية على علم التربية، ص 243.

2- جان جاك روسو، إميل والتربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص 18.

3- نعيم حبيب جعنيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، ص 178.

ومن هنا تظهر فكرة العلاقة بين التربية والسياسة إذ " **أن ما هو صحيح على الصعيد السياسي، هو صحيح أيضا على الصعيد التربوي، إن نسيان واحتكار غرائز الإنسان الأولية هو الذي أفسد كل شيء، وحينما فسد المجتمع بم يعد يستطيع أن يعطي سوى تربية فاسدة، ولكن بما أن المجتمع قابل للإصلاح، فالتربية أيضا هي قابلة للإصلاح**".[1]وهذا يعني أن من أسباب التي أدت لظهور الحركة الطبيعية والرجوع لطبيعة الإنسان نجد ما هو سياسي وما هو تربوي .

ويظهر أثر روسو المتميز كذلك في محاولته لإعداد إنسان كامل مرتبط بمسائل الحياة، يستطيع حل مشاكله ومغالطاته إذ تعد الحياة حسب روسو لا تختزل في الترف والتمتع بملذات الحياة وما تعشه من تقدم في ظل الحضارة بل الحياة هي العمل، من خلال استخدام حواسه والانتفاع بها، فتربية طفل هي إعداد مواطن وإنسان لا تطغى عليه المصلحة الشخصية لقول روسو: " **إن واجبك أن تعلمه كيف يعيش لا كيف يتحاشى الموت، والحياة ليست نفسا يتردد بل هي نشاط واستخدام للجوارح والحواس والوظائف الحيوية من سائر عناصر كياننا**".[2]و هذا يعني أن معرفة الإنسان لذاته تساهم بمعرفته للآخرين، فأساس صلاح المجتمع وتطوره هو صلاح التربية الطفل الذي هو لبنة المجتمع.

فمن خلال الأهداف العامة التي سعى إليه روسو ببناء نظريات تبرز أثره البالغ في تغيير سمات وأوضاع مجتمعه سواء السياسية أو الاجتماعية أو التربوية " **ليس غريبا أن يكون كتابه العقد الاجتماعي طفرة فكرية وجهت عمل الثروة في فرنسا وهي أعظم ثورة تشهدها أوروبا ضد القهر والاستبداد وليس غريبا أيضا أن يحدث ثورة تأخذ طابع الاستمرار في مجال التربية لقد وضع روسو حجر الزاوية لانقلاب فكري ثوري أتى على**

1- أندريه كريستون، روسو حياته، فلسفته، منتخبات، ص 92.

2- نفسه، ص 33.

كل التراث القديم في مجال التربية وأحدث انقلابا كوبرنيكيا في مفاهيم والرؤى والتصورات، وستبقى نظرياته أحجار كريمة براقة في عقد الفكر الإنساني إلى الأبد".[1]

فمن خلال هذا يكون جان جاك روسو سجل اسمه في تاريخ الفكر مربيا ومعلما وفيلسوفا وسياسيا وثائرا، لتكون سيرته مميزة وغريبة في تاريخ الإنسانية لما حملته من إصلاح.

1- علي أسعد وطفة، الثورة التربوية في فلسفة جان جاك روسو، ص 28.

النقد والتقييم

– لقد كان للفكر الروسوي تأثيرا بالغ ، ومكانة بارزة في الفكر الإنساني بصفة عامة، والفكر الحديث بصفة خاصة ، حيث امتد تأثيره ومس طائفة كبيرة من الفلاسفة والمفكرين، على غرار تأثر "هيغل بروسو" وفكره ، ويتجلى ذلك من خلال تأثره بفكرة الإرادة العامة التي كانت تعرف تمجيدا كبيرا عند" روسو "، ومن ثمة عند هيغل وهذا ما نلمسه في قول " سباين" في كتابه تطور الفكر السياسي : إن أهمية روسو في تمجيد الإرادة العامة قد ظهرت في الفلسفة الألمانية على يد هيغل " 1770–1831" الذي صور الإرادة العامة على أنها روح الأمة " [1] وما نستشفه من هذا القول أن هيغل كان من أنصار الإرادة العامة واعتبرها هي قوام وأساس الأمة ، بل أكثر من ذلك روح الأمة ويعود هذا الفضل" لجان جاك روسو" .

إن " روسو " كان يحذوه طموح يتلخص في محاولته صنع وإيجاد أساليب جديدة لتصحيح المفاهيم القديمة " حيث مارس النقد على كل ما كلن يدور من حوله وسائر فترته ، إذ اتخذ مبدأ الخلاف لما هو معتاد شعارا له ، حيث خالف كل العادات والتقاليد واستند في كل هذا على دعوته وهدفه الأسمى ألا وهو طبيعة خالية من كل تزييفات المدنية والعمل على تحرير الأجيال القادمة من قيود المجتمع لأنها لا تحقق العدالة البشرية "[2]. وهذا يظهر من خلال كتاباته عن هذه الأخيرة – العدالة البشرية– كان شديد الحرص على تحقيقها .

ما يحسب كذلك "لروسو" هو دعوته ومناداته " للتحلي بالفضيلة، والتي اتخذت العدالة الاجتماعية أساسا لها وقاعدة يمكن الانطلاق منها ، ولذلك يمكن اعتباره بطل المساواة حيث

1– فضل الله محمد إسماعيل ، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث ، ص 171.

2–نفسه ص 175

دعا إلى ضرورة العمل على إزالة كل الفوارق الظالمة بين الناس "[1]. وهذا ما تجسد في كتابه أصل التفاوت بين الناس في سنة 1755.

لقد كان لمؤلفات " روسو " دورا بارزا في دفع عجلة التفكير ولعل كتابه " إميل"" Emille" كان أكبر كتبه تأثيرا " وهذا ما نلتمسه من شهادة وقول مسيو مارتن : بالرغم ما أثارت بعض من اعتراضات عليه ، فالكتاب يكاد يكون أعمق بحث في لغتنا وغيرها من الكتب الحديثة ، وهو قطعا أكثر الكتب دفعا للتفكير فيما لا يكون تفكير المؤلف فيه صوابا وإنك لفي حل من أن تقول أن هذا الكتاب كان سفينة السلام ألقى بها القدر على أمواج التشكيك والمادية وأنه جمع بين دفتيه كل العواطف والمبادئ الأساسية للحياة الأخلاقية التي كانت على شفا الهاوية"[2] .

كما نجد في هذا القول شهادة صريحة لمكانة روسو في الفكر الإنساني ودوره في تصويره وتصحيحه وكذلك لفت الانتباه والاهتمام بالطبيعة الإنسانية وجوهرها ، وهذا ما تجسد فيما يعرف في العلم الحديث "بعلم النفس"، عن طريق بدايات مراعاة ميولات الطفل مما بلور الفكرة إلى علم متخصص ليؤسس له العديد من الفلاسفة بعده.

إن هذه الايجابيات التي حضي بها وعرفها فكر فيلسوفنا الفرنسي "جان جاك روسو" واشتهر بها ، لا يمنع جملة من النقائص التي وسمت فكره وشكلت بذلك جملة من الثغرات التي تخللت المشروع الفكري الروسوي ، ولعل من أهم الانتقادات نذكر :

نجد روسو في بعض كتاباته الرومانسية تحدث عن الحالة الطبيعية إذ اعتبرها حالة الحرية التي فقدها الإنسان ، من خلال سجن المجتمع الحديث إلا أن البديل الذي قدمه المتمثل في العقد الاجتماعي تلقى العديد من الانتقاد " ليس هناك ما يضمن أن تلتزم الأغلبية النفع

1- محمد هيكل حسن ، روسو ، حياته وكتبه، (دط) ،(د ت) ، ص 10.

2- محمد هيكل حسن ، روسو ، حياته وكتبه، ص 238.

العام والعدالة بين الجميع ، وكما رأينا الأغلبية تخطئ وتستبد أبشع الاستبداد ، حتى في أقدس الأمور وهي العقيدة الدينية فتنكر تلك العقائد المتواضعة التي اعتبرها روسو أساسية ...ويقدس إرادة الأغلبية ويطالبنا بالإذعان لها كأنها إرادة إلهية ، يقيم ضربا من الاستبداد هو شر أُلِّفَ من استبداد الفرد" [1] . معنى هذا أن العقد الذي نادى به روسو يعد الداعم الأسود لجميع أنواع الطغيان .

إن روسو من خلال قوله " أن حالة البراءة الأولى أفسدت من طرق الاجتماع ، وأنه يمكن إصلاحها بالعقد الاجتماعي والتربية الملائمة ، وقد ظن أن الحالة الأولى أن تكون من البساطة والسذاجة ،بحيث يفسرها لوحا "مصقولا" غفلا من العلم والفن والأخلاق ، بل معارضته لها ، قدم هذه الحالة أولا على أنها مجرد فرض ، ثم رآها فرض لازم لتفسير الإنسان ، ثم اعتبرها واقعة تاريخية ، كما لاحظنا وهذا التدرج في الإبهام أو التوهم تعوزه الدقة المنطقية "[2]. هذا يدل على عدم حسم روسو لهاته الطبيعة الإنسانية والوقوف على خصائصها ادخله في موجة من الإبهام والتناقض وعدم الوضوح ، وكثرة المفارقات وبالتالي عدم وضوح فكرة التقدم عنده .

ومن ملامح تناقض روسو كذلك ، نجد مناداته بحق الشعب الكلي ومطلق التشريع أحيانا ، وقوله حق المشرع في سن القوانين وتنظيم الأمور أحيانا أخرى "[3]. حيث وقع ضحية في مفارقة قللت من تماسك مشروعه الفكري خاصة ما تعلق بالتقدم لديه سواء على المستوى النقدي أو التأسيسي لهذه الفكرة . هل هو مرهون بحق الشعب أم بحق المشرع ؟

1- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص 116.

2- نفسه ص 116.

3 - فضل الله محمد إسماعيل ، الأصول اليونانية في الفكر السياسي الغربي الحديث ، ص 47.

إن نقد روسو لفكرة الملكية والترف ، لم يكن نقدا موضوعيا ، بل كان نقدا ذاتيا نتيجة للظروف الحياتية التي عاشها ، وأثرت عليه جراء حالة التشرد والبؤس والفقر ، لذا دعا إلى ضرورة العودة لحالة الطبيعة وبالتالي عمل بالرجوع بالإنسانية إلى الوراء في ظل فكرة التقدم .

إن روسو من خلال قوله بالتربية الذاتية أو السلبية ، أي التعلم عن طريق النتائج الطبيعية " يكون بذلك قد وقع ضحية عدم التمييز بين الخبرة المباشرة والخبرة الغير المباشرة ، وهذا يؤكد نقد "بروبيكر" " لروسو" في قوله : ولكن النقص الذي يظهر في هذه الطريقة من التعلم كما أوضحها لنا " لا شولوتيه " وغيره من النقاد الذين تبعوه ، إن المدرسيين قد حرموا على هذا الأساس تلاميذهم من الاستفادة من خبرة الآخرين في الماضي والحاضر"[1].

وما نستشفه من هذا النقد أن روسو قد ركز على الخبرة الغير المباشرة ، أي الخبرة الذاتية في عملية التعلم على أساس أن يصحح الطفل أخطائه بنفسه نافيا بذلك صور خبرة الآخرين ، فاتحا مجالا أمام الطفل للتعصب والتمرد في آرائه وعدم قبول آراء الغير مما يشكل حركة تعرقل عملية التقدم على المستوى الفردي والاجتماعي .

وفي الحديث كذلك عن كتابه" إميل " فمن المضحك ، بل من المؤسف أشد الأسف أن نجد هذا الرجل يتحدث عن التربية وعن الشفقة، وهو الذي عهد بأولاده إلى أحد الملاجئ فلم يحبهم ولم يعتن بهم ، وأن نرى هذا العصامي يفلسف ببضع أفكار التقطها في مطالعاته، فيذيع كثيرا من الأفكار الخطيرة في رحلة من البلاغة الخلابة "[2]. معنى هذا أن روسو كان مجرد متفلسف مصورا لأفكار لا أساس يربطها بالواقع، حيث اعتبرت مثالية.

إن هذه الانتقادات لا تنقص من القيمة الفكرية لفكر وفلسفة " جان جاك روسو" عبارة عن تقييمات للنقائص والأخطاء التي وقع فيها قد تصيب وقد تخطئ ، وأي اجتهاد معرض

1- محمد لبيب النجيحي ، الأسس الاجتماعية للتربية ، ط1، دار النهضة العربية، بيروت ، ص 270.

2- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص 117.

للخطأ والنقص وكذا الانتقاد مهما كان عمله متماسكا ، أضاف له هذا النقد سرا نحو التقدم والتطور.

خاتمة

خاتمة :

وانطلاقا مما توصلنا اليه حاولنا أن نجيب على ماتم عرضه في بحثنا هذا وذلك من خلال تحديد الخطوط العريضة لدراستنا هذه حول فكرة التقدم من منظور الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو، المفكر المتميز بجميع المقاييس، لأنه يمثل الإنسان الذي كان جزء من حركة الأوضاع الأجتماعية والسياسية التي سادت عصره، حيث فجر عبقريته تختلف عن غيره من الفلاسفة والمفكرين، إذ طبعت آراءه وأعماله بسمة رومنسية مرهفة مما جسد ذروة التطور للفكر التنويري، كونه محب للطبيعة لأنه يرى أن كل شيء يأتي من الطبيعة فهو جميل وحسن وخير، طالما لم تمتد أليه يد الإنسان، والعودة الى الحياة البدائية أي المجتمع الطبيعي، فهذه الأخير كان بالنسبة له أساس اصلاح المجتمع المتمدن، لذا فقراءة فكر روسو يبرز الكثير من التطورات، وهذا ما جسده في فكرة التقدم من خلال انتقال الفرد من حالة الى أخرى، من محط الطبيعة البسيطة الى الاجتماعي بالغير، أو ما يعرف بالمجتمع المدني، معبراً عن أسباب هذا التحول، ووصف جل الخصائص والتغيرات التي تلحق بالفرد، إذا اعتبر أول من دعى الى التطور الاجتماعي، لأن الأجيال تصنع نفسها بنفسها في تحقيق سعادتاه، محافظ على خصائصه وحقوقه الطبيعية وحريته وارادته، فكل هذا يحدد ماهيته كإنسان له كينونة في إطار إجتماعي .

فقد كان جان جاك روسو المرجع الذي لا يمكن تجاوزه في أي تناول فلسفي خاصة في طرح الفكر السياسي الحديث، وهذا ما جسده في عقده الاجتماعي الذي يعتبر نظرية مختلفة عن غيره من فلاسفة العقد الاجتماعي الذي سبقوه، وكذلك فكرة الدولة، ليحقق للفرد مواطنته، إذ إعتبر أول من قال بالمساواة هي قاعدة النظام السياسي وهي التي تحمي الحرية والعدالة والقضاء على الاستبداد الطبيعي، فقد عالج فكرة التقدم بأسلوب متماسك يظهر من خلال رسم التقدم التاريخي للمجتمع الانساني، بمضمون جدي وبعد أوسع نبه الى خطره على الطبيعة

البشرية وما يلحق بالجانب الأخلاقي، لذا كان له كتاب موسوم بإنجيل التربية يعتني باللبنة الأولى بالمجتمع "الطفل" ليكون رجل المستقبل المؤسس للمجتمع صحيح وكذا من خلال قلب التعليم رئس على عقب في نظرية متفردة تكون أساس قيام علم حديث" علم النفس" .

وفي الأخير يمكننا القول أن الفلسفة روسوية فلسفة انسانية بالدرجة الأولى من خلال ما جاء فيها من دفاع عن حرية الفرد وتجسيد للمساواة بين الناس، وكذا تمجيد للعاطفة، وتعتبر كذلك دعوة صريحة للإعادة النظر والاهتمام بشؤون الانسان وقيمته ودوره في خلق حضارة أو مجتمع متكامل يسوده الاستقرار والسلام، فجان جاك روسو هو إحدى المحطات التي يجب المرور عنها، كونه مفكر مقاوم لكل تصنيف من خلال تعبيره عن حالة أوربا وفرنسا خاصة، كونه حامل لروح انسانية فريدة تخلص الانسان من كل مظاهر الانحطاط لترسم له معالم الرقي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- **قائمة المصادر :**

1)جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس ، تر: عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة القاهرة، (د ط)، 2012.

2)جان جاك روسو، العقد الإجتماعي أو مبادئ القانون السياسي، تر:عبد العزيز لبيب ، بيروت، ط1، 2001.

3)جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، تر: نظمي لوقا، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت).

4)جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت وأسسه بين البشر، تر، بولس غانم، ط1، بيروت، 2009.

5)جان جاك روسو، أصل التفاوت بين الناس، تر: عادل زعيتر، القاهرة، 1954م.

6)جان روسو، اعترافات جان جاك روسو، تر: حلمي مراد، دار ميوزك، ط1، القاهرة، 1998.

- **قائمة المراجع :**

1)ابراهيم دسوقي اباضة، عبد العزيز غنام، تاريخ الفكر السياسي، دار النجاح، بيروت،(د ط)، 1973م.

2)إبراهيم دسوقي، تاريخ الفكر السياسي، دار النجاح، بيروت، (د ط)،1973.

3)أرسطو، كتاب السياسات، تر، مصطفى الرفاعي، اللجنة العلمية لترجمة الروائع، بيروت،1957 .

4)إسماعيل زروخي، دراسات في الفلسفة السياسية، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط1، 2001.

5)أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف ،القاهرة ، ط5 ، 1995.

6)إميل برهيه، تاريخ الفلسفة ،ج5، ترجمة ،جورج طرابيشي ط2 ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1981.

7)اميل برهيه، تاريخ الفلسفة، ترجمة جورج طرابيشي، ج5، ط2، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت,199.

8)اندريه كريستون،" روسو" ،حياته، فلسفته، منتخبات، تر: نبيه صقر منشورات عويدات بيروت، ط4 ،1988.

9)إيزايا برلين، جذور الرومانتيكية، تر: سعود السويدا، جداول للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2012.

10) بتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر، محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، ط3، 1988.

11) توماس هوبز، الليفياثان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، تر: ديانا حرب بشرى سعد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الفارابي، ط1 ،2011.

12) ج.ب. بيوري، فكرة التقدم، تر: أحمد حمدي محمول، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.

13) جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة الى عصر التنوير، ج2، ترجمة ناجي الدراوشة، ط1، دار التكوين، بيروت، 2010.

14) جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، تر، ناجي دراوشة ، دار التكوين ،ط 1 .

15) جان جاك شوفاليه، تاريخ الفكر السياسي، تر، محمد عرب اصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت.

16) جان فال ، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، تر: فؤاد كامل ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة،(د ت).

17) حسن محمد الكحلاني، فلسفة التقدم، دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ.

18) حسن محمد الكيلاني، فلسفة التقدم، دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ، مكتبة مدبولي، 2003.

19) حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، 1978م.

20) خالد الخطاط، مفهوم الطفولة عند روسو من التربية إلى علم التربية، نقد وتنوير، العدد الأول، 2015.

21) روبرت ووركلر، روسو، تر: أحمد محمد الروبي ، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ،مصر ط1، 2015.

22) روبرت ووكلر، تر، أحمد محمد الروبي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015.

23) عبد المجيد عمراني، محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي، منشورات الحبر، الجزائر، ط1، 2008.

24) عزة أحمد صيام، تاريخ الفكر الاجتماعي، جامعة بنها، 2012،(د ط)، (د ت).

25) فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث ، دار الجيل ، بيروت، 1985.

26) فايز صالح أبو جابر، الفكر السياسي الحديث، دار الجيل، بيروت، ط1، 1985م.

27) فضل الله محمد إسماعيل، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، بستان المعرفة طباعة ونشر وتوزيع الكتب، الإسكندرية، 2006.

28) فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم الغربي الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 1988م.

29) محمد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1984.

30) محمد هيكل حسن ، روسو ، حياته وكتبه، (دط) ،(د ت) ..

31) محمد وقيع الله أصمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، رؤية اسلامية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2010.

32) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مطابع شركة الإعلانات الشرفية، ط1، 1989م.

33) موريس كريستون، أعلام الفكر السياسي، مراجعة فيصل جلول، ط2، 1971م.

34) نجيب المسكاوي، روسو، حياته مؤلفاته، القاهرة، دار الشرق، 1989.

35) نعيم حبيب جعنيني، الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2004.

36) نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، ط3،2012.

37) وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة، تر: محمود السيد أحمد، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2010.

38) ويل ديورانت، قصة الحضارة، روسو والثورة، ترجمة، فؤاد أندراوس، الجزء1، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

- **المعجم والموسوعات :**

1)جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ،ج2 ،دار الكتاب اللبناني، بيروت ،(د ط)، 1982.

2)جورج طرابيشي معجم الفلاسفة، ج5، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 20 اندريه لالاند : موسوعة أندريه لالاند الفلسفية، تعريف خليل أحمد، إشراف أحمد عويدات، المجلد 1، منشورات بيروت، ط2، باريس، 2001.

3)فؤاد كامل واخرون الموسوعة الفلسفية المختصرة، (د ط)، دار القلم بيروت، (د ت) د.مختار عريب ،الفلسفة السياسية من المفهوم الكلاسيكي إلى البيوتيقا، كنوز الحكمة ، الجزائر ،2009.

4)موريس فرادوار، موسوعة المشاهير المختصرة، أعلام الفكر السياسي، ج5، ط1، دار الصداقة العبرية، بيروت، 2002.

- **المجلات والدوريات :**

1) علي سعد وطفة، الثروة التربوية في فلسفة جان جاك روسو، العدد 10، مجلة التنوير، مارس 2015.

2) دانيال سالناف، روسو معاصرنا بتمزقه وقلقه، مجلة أفاق المستقبل، العدد 15، يوليو، أغسطس، سبتمبر، 2012.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ–د
الفصل الأول : **التطورات الفكرية لجون جاك روسو**	5
تمهيد	06
المبحث الأول: فلسفة عصر التنوير	10
أولا : فكرة العقل	11
ثانيا : فكرة الطبيعة	14
ثالثاَ: فكرة التقدم	17
المبحث الثاني: الحركة الرومانسية في فكر "جون جاك روسو" ومبادئها	20
أولاً: الشعور(العاطفة) كبديل للعقل	21
ثانياً: نقد فكرة التقدم عند روسو	25
الفصل الثاني : **الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية**	30
تمهيد	31
المبحث الأول: خصائص الحالة الطبيعية	32
أولاً: علاقة الانسان بالطبيعة	33
ثانياً: الحق الطبيعي للإنسان	37
أ–الحرية	39
ب–المساواة	42
المبحث الثاني: مميزات الحالة المدنية وعلاقتها بالتقدم	45

فهرس الموضوعات

أولاً: بوادر وأسباب الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية	46
ثانياً: مظاهر التقدم في الحالة المدنية	49
أ–الاجتماع البشري كتعبير عن الحالة المدنية:	49
ب–الملكية	51
الفصل الثالث : **الفكر السياسي والتربوي وعلاقته بفكرة التقدم**	54
تمهيد	55
المبحث الأول: الفكر السياسي عند جان جاك روسو	56
أولاً: العقد الاجتماعيcontrat socialele	57
ثانياً: الدولة.	64
المبحث الثاني : الفكر التربوي عند جان جاك روسو في ظل فكرة القدم	72
أولاً: فكرة التربية وتطورها عند جان جاك روسو	73
ثانيا: مراحل التربية عند روسو	76
ثالثا: هدف التربية الروسوية	83
نقد وتقييم	86
خاتمة	93
قائمة المصادر والمراجع	96
فهرس الموضوعات.	102

أرشيف جامعة "محمد بوضياف"بالمسيلة
لرسائل .ماستر
على شكل word

كلية : العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : الفلسفة

رقم التسلسل :.....

رقم الستجيل :1333061844 105072650

الطالب(ة) : بعبوش هجيرة فايد زهرة

تاريخ المناقشة: 19 جوان 2018

عنوان الرسالة : مفهوم التقدم في فكر جون جاك روسو

لغة الرسالة : اللغة العربية

نوع الرسالة : ماستر

الجامعة :جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

إشراف الأستاذ: حميدي لخضر

عدد الصفحات : 103 ورقة.

ملف إلكتروني * .PDF * word . في .CD

التخصص: فلسفة عامة

الملخص

تتمحور دراستنا هذه حول موضوع مفهوم التقدم عند جون جاك روسو الذي كان تحت اشكالية ما طبيعة التقدم عند روسو؟ ومن هذا المنطلق حاولنا معرفة وجهة فكر روسو ولماذا قام بنقده حيث أن هذه الفكرة لم تكن بالنسبة لمعظم الفلاسفة صورة فارغة من أي محتوى فلسفي، إنما كانت اعتقادا راسخا وتعبيرا عن تفاؤل بمستقبل زاهر تزول فيه كل مآسي الإنسانية إلا أن الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو الدي يمثل منعطفا نوعيا في تاريخ الفلسفة الأوربية الحديثة عالج مسألة التقدم مختلفة عن فلاسفة عصر التنوير من خلال إعطائها بعج رومانتيكي مرتبط بالطبيعة يفتح مجالا للعقل الإيجابي في حياة الفرد من أجل الرقي

الكلمات المفتاحية : جون جاك روسو التقدم الحالة الطبيعية الحركة الرومانتيكية الحالة المدنية

التربية العقد الاجتماعي

جاء هذا البحث في فصول:

تناول:

الفصل الأول: التطورات الفكرية لجون جاك روسو

الفصل الثاني: الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية

الفصل الثالثالفكر السياسي والتربوي وعلاقته بفكرة التقدم

من أهم النتائج التي توصلت إليها الباحث :

توصلت الباحثة للعديد من التوصيات أهمها :

_يعتبر"جان جاك روسو"، المفكر المتميز بجميع المقاييس، لأنه يمثل الإنسان الذي كان جزء من حركة الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي سادت عصره، حيث فجر عبقرية تختلف عن غيره من الفلاسفة والمفكرين، إذ طبعت آراءه وأعماله بسمة رومانسية مرهفة مما جسد ذروة التطور للفكر التنويري، كونه محب للطبيعة لأنه يرى أن كل شيء يأتي من الطبيعة فهو جميل وحسن ، طالما لم تمتد إليه يد الإنسان.

_ إن قراءة فكر روسو يبرز الكثير من التطورات، وهذا ما جسده في فكرة التقدم من خلال انتقال الفرد من حالة الى أخرى، من محط الطبيعة البسيطة الى الاجتماعي بالغير، أو ما يعرف بالمجتمع المدني.

_ قد كان جان جاك روسو المرجع الذي لا يمكن تجاوزه في أي تناول فلسفي خاصة في طرح الفكر السياسي الحديث، وهذا ما جسده في عقده الاجتماعي الذي يعتبر نظرية مختلفة عن غيره من فلاسفة العقد الاجتماعي الذي سبقوه، وكذلك فكرة الدولة، ليحقق للفرد مواطنته، إذ إعتبر أول من قال بالمساواة هي قاعدة النظام السياسي .

_كان روسو أساس قلب التعليم رأسا على عقب في نظرية متفردة تكون أساس قيام علم حديث " علم النفس"

توصل(ت) الباحث لمقترحات عديدة أهمها :

.....